

طرائف عن القضاة

بقلم

سليمان محمد ثابت
المتنشر بمحكمة النقض

obeykandi.com

تقدمة

بقلم عميد الأدب الدكتور طه حسين

لست أدري لماذا استقر في نفوس الناس أن العدل يجب أن يكون دائماً عابساً لا يعرف وجهه الا بتسام مقطباً لا تعرف أساريه الانبساط . صارماً لا يعرف اللين مر الجد لا يعرف حلاوة الدماية ولا عذوبة الفكاهة ولا رقة الحديث .

وان الذين يجرونه بين الناس يجب أن يكونوا مثله صوراً للرهبة المخيفة والهيبه التي تطير لها النفوس فرقا وإشفاقا . أ يكون ذلك لأن العدل يمثل السلطان وما ينبئ له من الإجلال والإكبار ومن التوقير والتعظيم .

ولأن رجال العدل هم ألسنته الناطقة يأمرون فيطاع أمرهم ويحكمون فتتفد أحكامهم ويقولون بالحق فلا يتركون لقائل بعدم مقالا . أم يكون ذلك لهذه المظاهر التي تحاط بها مجالس القضاء مما يبعث المهابة ويهيء النفوس للطاعة والاذعان . وأغرب من

ذلك أن هذا الشعور ليس مقصوراً على العامة الذين لا يتعمقون الأمور ولا يصلون إلى دخالها وإنما يتجاوزهم إلى الخاصة بل يتجاوز هذه الخاصة إلى القضاة أنفسهم فهم يكبرون العدل ويعظمون أمره ويحرصون أشد الحرص على أن يجعلوا أنفسهم جديرين بما ينبغي له من الإجلال والإكبار فيتخرجون ويشتدون على أنفسهم في التخرج ويأخذونها بضروب من الصرامة المرة حتى لا يكاد أحدهم يبيع لنفسه أن يأخذ الحياة كما يأخذها الناس في يسر ودعة واسماح .

فالقاضي لا يعبت ولا يعابت في لفظ أو حركة أو إشارة لا أثناء جلوسه للقضاء فحسب بل في حياته الاجتماعية كلها يكاد لا يضحك إلا حين يخلو إلى نفسه ويكاد لا يبسم إلا حين يغلبه الابتسام فله حياة مع الناس صارمة قاسية وحياة مع نفسه قل أن تخلو من الصرامة والقسوة .

كذلك نظر الناس إلى القضاة ونظر القضاة إلى أنفسهم وجرت حياتهم على هذا الجد المر حتى أصبحوا له رمزاً .

ومع ذلك فليس العدل مراكله ولا عبوساً كله وإنما هو مزاج
من الشدة والرفق ومن القسوة واللين ومن العسر واليسر . فهو
سبيل الناس إلى الأمن وسبيلهم إلى الرضى وهو سبيل الناس إلى
السعادة وسبيلهم إلى خفض الحياة . هو يعصم المظلوم من بأس
الظالم ويحمى الضعيف من بطش القوى . ويحمل الناس على حياة
سواء لا عوج فيها ولا أمت ولا امتياز فيها ولا استعلاء ولا بغى
فيها ولا طغيان . هو نعمة لا تقمة ورحمة لا عذاب . فاعجب لمصدر
السعادة والرضى ولين العيش يفرض على رجاله القسوة والصرامة
والتزمت ومرارة الحياة .

فكرت في هذا كله مع كثير من العجب والاعجاب حين
أخذت أنظر في هذا الكتاب الذى تفضل بإظهارى عليه مؤلفه
الكريم الجليل الأستاذ سليمان محمد ثابت فهو مستشار فى أكبر
مجلس من مجالس القضاء وأى الناس لا يمتلىء قلبه هيبة ورهباً حين
تذكر له محكمة النقض ويذكر له مستشاروها ولكنى أنظر فى
الكتاب أرى عجباً من العجب أراه يروى شيئاً من طرائف

القضاء وفكاهة القضاة القدماء في عصورنا القديمة على اختلافها
ثم لا يقف عند القدماء فيكون باحثاً أديباً يتبّع النواذر المطرفة
لطائفة من قدمائنا الذين نجلهم ونحبهم ونروى أنباءهم وطرأتهم
ولكنه يتجاوز القدماء إلى المحدثين المعاصرين فيروى لنا من نواذرهم
وفكاهاتهم ما يحب ويروق فهو إذن يتبّع شؤون القضاة
ويجمع أطرافاً من دعاياتهم وفكاهاتهم . وهو إذن رجل مثلنا
يستطيع أن يتخفف من جده المر لحظات بخلو فيها إلى نفسه وإلى
ما يحب ثم هو لا يؤثر نفسه بهذه اللحظات وإنما يشرك فيها
زملاءه القضاة ليتخففوا مثله من عنائهم الثقيل حين يقرأون ما يقدم
إليهم من هذه النواذر الحلوة . ومن يدري لعل بعضهم أن يروقه
هذا المذهب فيقرأ كما قرأ أو يبحث كما بحث ويضيف نادرة إلى نادرة
وطرفة إلى طرفة . ثم هو لا يؤثر زملاءه القضاة بكتابه من دون
الناس وإنما يقدمه إلينا جميعاً نشاركه في متعته ولأناس بعد ذلك
إلى هؤلاء القضاة فنعرف أنهم ناس مثلنا لم تخرجهم صحة العدل
المتصلة عن أطوارهم فهم يمزحون ويحدون ويخطئون ويصيبون
ويقرأون ويستمتعون ويعيشون مع الناس كما يعبش الناس .

لهذا المستشار الجليل الأديب أصدق الشكر وأخلصه لأنه
قرب إلينا من أمر القضاة بعيداً وأظهر لنا أن من بينهم من
استطاع أن يجمع إلى تعمقه في الفقه تعمقاً في الأدب وإلى رصانته
في تقدير الأشياء والحكم عليها رصانة في التعبير وبراعة في التصوير
فقد جمع كتابه إلى يسر المعنى وقرب المأخذ جزالة اللفظ وروعة
الأسلوب .

وله أصدق الشكر لأنه التقى في روعنا أن بين قضاتنا المعاصرين
من لا يمنهم تعقد الحياة القضائية وثقل أعبائها وازدحام مشكلاتها
من أن يجدوا بين حين وحين ساعة أو ساعات يفرغون فيها للفن
والأدب فيمتعون ويستمتعون ويصلون ما انقطع أو كاد ينقطع
من العهد بين حديث قضاتنا الرائع وقديمهم المجيد .

طه صبه

هذا هو يونيو من سنة ١٩٥١ ينتصف ، وهذه هي الأجازة
تبتدىء ، فرأيت أول ما رأيت أن أطوى كتب القانون
وبودى — استشفاء للنفس منها — لو أهمل شأنها حتى تضرب
العناكب عليها بيوتها ، فمابى اليوم من حاجة إلى ماسطر بمتونها ،
أو نغم بحواشيها ، إذ الأجازة انعتاق مما كان وانطلاق إلى ما
يكون ، وهى بعد فترة مامنها بد للخلاص مما يؤود والانصراف
إلى ما يروق ، فالذهن قد أصابه السكال والملال إذ كان مداره
طوال العام النباش والتفتيت فى النصوص ، ومنقلب التاويل
والتدليل دحك من حَمِيَا المداولة والمقاولة . فمن حقه الآن أن
ينسرح حيثما شاء ، وكذلك العين من حقها أن تسوم من المراتيات
ما تريد وتعمل ما تحب ، وعلى الجملة فمن حق النفس أن تجرى
حينئذ رها على رسلها .

لم أجهد نفسى فى تخير موضوع يتفق وهذا الذى ذكرته ،
بل لم أفكر فى الكتابة أصلا ، إلى أن دعتنى إليها المصادفة ،

ف ذات صباح كنت جالسا مع قريب طيب ومع كل منا كتاب
يقرأ فيه ، وكلا وقع نظري عليه وجدت بسمه رقيقة سادرة
تتخايل على شفتيه فأيقنت عظيم إيناسه بما يقرأ وإساغه له فسألته
عن اسم كتابه فقال لي Humour in Medecine الدعابة في الطب ،
وراح يروي لي الأقصوصة التي فرغ من قراءتها على التو قال :
كان طيب يتقاضى من كل مريض يطب له بعيادته أول مرة
خمسة جنيهات وجنيهاً عن كل مرة بعد ذلك ، وقد رغب
مريض ما كـر في أن يتفادى دفع خمسة جنيهات مع أنه لم يسبق
أن فحصه الطبيب ، فلما أن دخل على الطبيب بادره بقوله :
إن الدواء الذي سبق أن أشرت علىّ به لم ينجع في صحتي فقطن
الطبيب إلى ما يرمى إليه ومع ذلك مضى يتحسس أطراف مريضه
ويجس أعضاءه ثم قال له : إني أرى صحتك تطرد في تقدمها
للشفاء ، وأنتك منها على حال أحسن مما رأيتك عليه قبلا ، وما
عليك إلا أن تستمر على تعاطي الدواء الذي سبق أن أشرت به
عليك المرة السابقة وليس عندي اليوم ما أشير عليك به سواه

فاقتضتني مناقلة الحديث بعد هذا الذي سمعت من جليسي أن
أروى له القصة التالية لطبيب مع برناردشو الذي أحس يوماً
بتعب ألزمه الفراش ، فاستدعى الطبيب وحين حضر وجد
المصعد معطلاً فاضطر أن يرتقى السلم وما أن دخل على شو حتى
تهافت إلى الكرسي لاهثاً مبهوراً ، فوثب شو من فراشه
وناول الطبيب قرصاً من دواء ونصحه أن يمسك عن أكل اللحم
اكتفاءً بالفاكهة والخضر إذ لولا ذلك كما يقول المريض للطبيب
- وإن شئت فالعكس صحيح - ما استطاع شو أن ينهض من
فراشه هكذا نشطاً فاهراً ومنه تعلو على سن الطبيب إن لم تكن
ضعفها ولم يفت رب النكتة ، وقد سئحت له أن يدعها تفلت
منه ، فطلب من الطبيب بضع شلنات أجر ما أطب له إلا أن
الطبيب تبسم ضاحكاً من قوله وطالبه بخنيهين لأنه إذ ادعى
الأعياء والتعب إنما كان يثير شو لينهض من فراشه ويأوله
شيئاً من الدواء ، وقد كان وبجحت الحيلة ، وكانت وسيلة

ناجحة في أن زال ما عند المريض من نصب عارض ، فاعترف
شو بالغلب للطبيب .

أعداني ما سمعت من جليسى وما قرأت في كتابه فانسرحت
أتذكر ما عساه يكون قد وقع لى من طرائف أثناء عملى
الطويل بالقضاء فاستجابت الذاكرة إلى سخية دفاقة شأنها
فى ذلك شأن كل ذاكرة لأي شخص آخر فإنها تفتح لقبول
ما يطرفها ويكون لها منه بعد ذلك الوعى والحفاظ ، غير أنها
إذا ما ترد إلى الجاف من علم أو قول تتأبى وتستعصى ، ولا
عجب فالذاكرة تتخفف بما يفكرها مما يثقلها ، ولكن العهد
برجال القضاء أنهم يأخذون أنفسهم بالحذر والتزمت فى صرامة
ومغالة - ولعل الناس من ورائهم يأخذونهم على هذا النحو -
فما ينطقون من لفظ إلا بعد تفكير وتقدير ، ثم يرسلونه فى
صوت خافت مستأنية نبراته متمهلة ، وإذا عرض لأحدهم
ما يستخرج الضحك انفرجت شفتاه عن بسمة نحيلة باهتة فيها
الكثير من الاحتجاز والانطواء إن لم يكن السخر والازراء ،

وتلك دورهم أدنى إلى محاريب التعبد والتهدج كل من فيها لا يفتأ يلهمج بأنه على حق وأنه لا ينشد إلا الحق ولا شيء غير الحق ، فكيف يجد القصص المستطرف والحديث المستطرف سبيله عند هؤلاء السادة ، وذلك هو حالهم وتلك هي دورهم ؟ است مطالباً أن أجد لذلك سبباً إذ بحسبي أن أروى ما حدث كما حدث دون ما تلفيق أو اصطناع ، على أنى واجد مع ذلك سبباً وربما أسباباً أو ليس من طبيعة عمل رجل القضاء في النيابة كان أو القضاء المداخلة في شئون الناس ، والمغامسة في الخصاص من أمورهم ، والكشف عن منازعهم جميعاً سواء في المدن أو القرى وسواء أكانوا من العلية أم من السوق ، يتقصى الجريمة وأسبابها وملابساتها ويظهره المتقاضون في المنازعات المدنية على دواعيها وما خفي من أسبابها ، لا شك أن كل ذلك يهيئ لرجل القضاء الفرصة لأن يقع على الغريب من أطوارهم ومناحي تفكيرهم مما يكون أحياناً سبباً للفكاهة والتندر ، فإذا وقع له شيء من ذلك كان ضنيناً به ليخفف به عن نفسه بعض ما يعانى

من كبت وحرمان ، وقديماً قال لنا علماء الاجتماع : إنه حينما يكون الكبت والحرمان تشيع الافكوهة والنادرة يرسلها المغلوبون على أمرهم تفريجاً عن أنفسهم وتهويناً ، ولكن أي كبت وحرمان يلزم رجل القضاء ؟ الجواب وفي ايجاز بالغ أنه يبدأ عمله بأن يطوح به - على الأغلب الأعم - في إحدى المدن بعيداً عن مصر وهو آنئذ في ميعة الصبا تستبد به نزوات وغرائز عدة لا سبيل له إلى تلبية حتى البريء منها وهو يعيش مفرداً لا يزور ولا يزار ولا يواكل ولا يشرب يطعم الماء بالقري رتقاً كدرأ ، إلى عمل متواصل متدارك وعليه ألا يكون بعيداً عن مسمعة التليفون ، ففي أية ساعة من ليل أو نهار قد يصلصل فيتهياً لإسماعه صوتاً أجش يخطر به بحادثة جنائية وأين ؟ قد تكون في الكفر ، في العزبة ، على سطح الجبل ، وعليه أن يبادر بالانتقال فوراً ليقضي الليل يقظان سهران مكدوداً مجهوداً ، ولا يزال هذا حاله حتى يرقى بعد سنين قاضياً وعندئذ تبدأ السقام متسابقة متصاحبة إلى جسمه إذ يقضي عليه أن يجلس وجه النهار

إلى ما بعد الظهر لا يتحرك ولا يريم ، وقد تمتد به الجلسة أو
تتقلص فتختل مواعيد وجباته ، وكل ما يجري بها مما يدعو إلى
تفزز الإعصاب وتوفرها ، ثم عليه أن يخلص بالحقيقة ودون ذلك
تمحيص ومراجعة الأوراق بالليل والنهار ، ثم ان عليه الرجوع
إلى الكتب القانونية وهي ليست متوافرة في مكاتب المحاكم
وقلما يفكر في تجديدها ويقرأ فيها رجل القضاء إذ يقرأ مقيداً
بوقائع القضية ، إذ عليه أن يلبسها الثوب القانوني مفصلاً على
قدمها في حبك وإحكام ، ثم يجب ألا يغيب عنا أن عمل رجل
القضاء هو وحده دون سائر الأعمال الأخرى الذي لا إنابة فيه
إذ على القائم به أن يدرس هو وحده أوراق القضية ويصدر فيها
حكمه بلا عون من أي شخص آخر . وأخيراً الملحوظ في أعمال
الحكومة أنه كلما علت السن بالموظف قل عمله إذ يكون مقصوراً
على ما يسمونه الهيمنة والاشراف ، أما في الأعمال القضائية
فأضلاع المثلث مقلوبه ، هذا هو المستشار في نهاية المطاف يحمل
إليه أول كل شهر قضايا الدور وهي إضامات متخمة مكتظة

بالأوراق تطالعه كل أول شهر فما ينتهى منها حتى تطالعه أول الشهر التالى قضايا الدور الجديد ، فالدور يروح والدور يجىء وهو منها فى حلقة مفرغة ، والدور لغة قد يكون معناه الحلقة المفرغة إقرأ معى البيتين الآتين :

مسألة الدور جرت بينى وبين من أحب
لولا مشيبي ما جفا لولا هواه لم أشب

لعل رجال وزارة العدل أن يكونوا قد اقتبسوا لفظة « الدور » من هذين البيتين . هذا بعض ما يعانى به رجال القضاء ومنذ أزمان أزمان والطرائف تخالط مجلسهم ، وقد اطلعت على الكثير منها مبمثرأ فى كتب الأدب والتاريخ فتخيرت منها أطايبها . هذا وقد أفدت من زورأتى إلى دار الكتب الكثير فى هذا الشأن ، فقد عثرت فيما عثرت عليه رسالة مخطوطة كتبها الشيخ العريش قاضى العساكر جواباً على اسئلة سأله إياها الحاكم الفرنسى عندما أغار الفرنسيون على مصر وقد نقلتها كلها لما فيها من طرافة إذ أجاب على سؤال عن صفات القضاة وقتئذ فقال : انهم أناس

فقراء أصحاب عيال مستحقون لهذه الخدمة الشريفة ومما يطرف
حقاً أن نعلم أن من بين البلاد التي كان بها محاكم شلشامون
وسنديون والنحريه الخ ، وقد كان لمحكمة المحلة الكبرى
شأن أى شأن ، والله أرجو التوفيق .

* * *

طرائف للقدامى من رجال القضاء

زوج يهجو الشعبي

دخل رجل على الشعبي فى مجلس القضاء ومعه امرأته وهى
من أجل النساء واختصا إليه ، وأدلت المرأة بحجتها وقربت
يئنتها ، فقال الشعبي للزوج : هل عندك مدفع ؟ فما كان منه
إلا أن أنشأ يقول .

فـتن الشعبي لما رفع الطرف إليها
فتنته بدلال وبخطى حاجبها
قال للجلواز قربها وأحضر شاهديها
فقضى جوراً على الخصم ولم يقض عليها
كيف لو أبصر منها نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه ساجداً بين يديها

الجلواز هو الشرطى

شاعت القصة حتى بلغت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ،
فلما دخل عليه الشعبي نظر الخليفة إليه وتبسم وقال :

فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها

ثم قال للقاضي ما فعلت بقائل هذه الأبيات ، قال قضيت
يا أمير المؤمنين بأن يوجع ضرباً بما انتهك من حرمتي في مجلس
القضاء وبما افتري به علي ، قال أحسنت .

لمن السنور ؟

جاء رجل يخاصم إلى شريح في سنور ، قال يبتك ، قال :
ما أجد بينة في سنور ولدت عندنا ، قال شريح : فاذهبوا بها إلى
أمها فأرسلوها ، فإن استقرت واستمرت ودرت فهي سنورك ،
وإن هي اقشعرت وهرت فليست بسنورك .

البكاء في مجلس القضاء

قال الشعبي كنت جالساً عند شريح إذ دخلت عليه امرأة
تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديداً ، فقلت : أصلحك الله

ما أراها إلا مظلومة قال وما علمك ؟ قلت لبكائها قال لا تفعل
فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون .

عن عمر بن عبد العزيز

قال عمر بن عبد العزيز إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا
تحكم له حتى يأتي خصمه فاعله قد فقئت عيناه جميعاً .

رد شاهد

كان الحسن بن أبي الحسن لا يرى أن يرد شهادة رجل مسلم
إلا أن يجرحه المشهود إليه فأقبل إليه رجل فقال يا أبا سعيد إن
إياساً رد شهادتي ، فقام معه الحسن إليه فقال يا أبا وائلة لم رددت
شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ما علينا ، فقال
يا أبا سعيد إن الله عز وجل يقول : (ممن ترضون من الشهداء)
وهذا ممن لا يرضى .

حكم لمحكمة النقض الدائرة المدنية القضية رقم ١١١ سنة ١٥

إذا كان عدم اطمئنان المحكمة إلى صدق الشهود هو السبب الأصلي في عدم أخذها بشهادتهم فهي لا تكون ملزمة بإبداء الأسباب لتبريره ولا معقب عليها إذ الاطمئنان إلى صدق الشاهد مرده وجدان القاضي وشعوره ولا يؤثر في سلامة الحكم أن يكون ما أضافه من رمى شهادة الشهود بالقصور غير مطابق لواقع شهادتهم على ماهي ثابتة بالحكم الابتدائي ، إذ أن صدق الشاهد أمر وفهم ذات شهادته أمر آخر .

كيف ولي شريح القضاء

استقضى عمر بن الخطاب القاضي شريح بن الحارث الكندي على الكوفة وثمان وعلي من بعده فمكث في القضاء زمناً طويلاً ، توفي عن مائة وعشرين سنة ونيف ، روى في سبب توليته القضاء ، أن عمر أخذ فرساً من رجل على سوم فحمل عليه فمطب نخاصم الرجل عمر فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلاً فقال الرجل إني

أرضى بشریح العراقي فقال شریح أخذته صحیحاً سليماً فأنت ضامن حتى ترده صحیحاً سليماً فأعجب عمر حكمه فعينه قاضياً .

قال ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين قال محمد بن حرب الطبري حدثني يعقوب بن ابراهيم أنبأنا نعيم أن أبا سيار عن الشعبي قال لما بعث عمر شريحاً على قضاء الكوفة قال له أنظر ماتبين في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك .

هيئة القضاء

دخل الأشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة فقال مرحباً وأهلاً بشيخنا وأجلسه معه . فبينما هو جالس عنده، إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث فقال له شريح قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك قال بل أكله من مجلسي فقال له لتقوم من

أو لآمرن من يقيمك فقال له الأشعث لشد ما ارتفعت فقال :
هل رأيت ذلك ضرك قال لا قال فأراك تعرف نعمة الله على غيرك
وتجهلها على نفسك .

قضيت بأقرارك

دخل عدى بن أرطاة على شريح فقال أين أنت أصلحك الله ،
قال بينك وبين الحائط قال إني رجل من أهل الشام قال نأى الدار
سحيق المزار قال قد تزوجت عندكم قال بالرفاء والبنين قال وولد
لى غلام قال ليهنتك الفارس قال وأردت أن أرحلها قال الرجل
أحق بأهله ، قال وشرطت لها دارها قال الشرط أملك قال فاحكم
الآن بيننا قال قد فعلت قال على من قضيت؟ قال عليك قال بشهادة
من؟ قال بأقرارك .

لست أحكم على غائب

قيل لشريح أيهما أطيب الجوزينق أو الوزينق ؟ - نوعان
من الحلواء - قال لست أحكم على غائب .

وكان شريع يقول الشعر وتنسب إليه هذه الأبيات قالها
حين ضرب امرأته لشيء نقمه منها :

رأيت رجلا يضربون نساءهم فشلت يميني حين أضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به
فما العدل مني ضرب من ليس مذنباً

فراصة إياس

قال ابن خلدكان كان القاضي إياس وهو أبو وائلة إياس بن
معاوية من أفطن القضاة عرف بصدق الفراصة وحدة الذكاء
قال عنه الحريري في المقامة السابعة . فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس
وفراستي فراصة إياس وعناهُ أبو تمام في قوله :

إقدام عمرو في شجاعة عنتر في حلم أحنف في ذكاء إياس

روى عن فراسته قبل أن يستقضى أنه بينما كان مع بعض
جلسائه إذ جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد فجعل يترصد

الطريق فيينا هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلا نظر إلى وجهه
ثم رجع إلى موضعه فقال إياس قولوا في هذا الرجل قالوا ما تقول
رجل طالب حاجة ، فقال هو معلم صبيان قد أبق له غلام أعور
فقام بعض جلسائه فسأل الرجل عن حاجته فقال لي غلام أبق
إحدى عينيه ذاهبة فسأله وما صنعتك قال أعلم الصبيان فسألوا
إياس كيف علمت ذلك قال رأيته جاء يطالب موضعاً يجلس فيه
فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه فنظرت في صورته فإذا
قدره ليس قدر الملوك فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك
فلم أجدهم إلا المعلمين ، فعلمت أنه يعلم صبيانا فسألوه كيف علمت
أنه أبق له غلام قال إني رأيته يترصد الطريق ينظر في وجوه
الناس فسألوه كيف علمت أنه أعور قال يينا هو كذلك إذ نزل
فاستقبل رجلا قد ذهب إحدى عينيه فعلمت أنه يشبهه بعلامه .

إنما يشهد الموالي والتجار

أقبل وكيع بن أبي سود صاحب خراسان ليشهد عند إياس
بشهادة فقال مرحباً وأهلاً بأبي مطرف وأجلسه معه ثم قال له

ما جاء بك ؟ قال لأشهد لفلان فقال مالك وللشهادة وإنما يشهد الموالى والتجار والسوقة قال صدقت وانصرف من عنده فقيل له خدعك إنه لا يقبل شهادتك قال لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب .

ذكاء إياس

استودع رجل أمين إياس مالا وخرج المودع إلى الحجاز فلما رجع طلبه فجحده فأتى إياساً فأخبره فقال له إياس أعلمته أنك أتيتنى ؟ قال لا قال أفنازعته عند غيرى ؟ قال لا قال فانصرف وأكتم سرك ، ثم عد إلى بعد يومين ، فمضى الرجل ودعا إياس أمينه ، وقال له قد حضر عندنا مال كثير أريد أن أسلمه إليك أفحصين منزلك ؟ قال نعم قال فأعد موضعاً للمال وقوماً يحملونه ، وعاد الرجل إلى إياس فقال انطلق إلى صاحبك فإن أعطاك المال فذاك وإن جحد فقل له أنى أخبر القاضى بالقصة .

فأتى الرجل صاحبه فقال تمطينى الوديعة أو أشكوك إلى القاضى وأخبره بالحال فدفع إليه المال فرجع الرجل وأخبر إياساً .

ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به فزجره وقال
لا تقربني بعد هذا يا خائن .

استودع رجل مالا ثم طالبه به فجحدته فخاصمه إلى إياس بن
معاوية . وقال المدعى دفعت إليه مالا في مكان كذا وكذا فقال
فأى شيء كان في ذلك الموضع قال شجرة قال القاضي للمدعى
فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر إلى تلك الشجرة فلعل الله يوضح
لك هناك ما تبين به حقك أو لعلك دفعت مالك عند الشجرة
فنسيت فتذكر إذا رأيت الشجرة فمضى وقال إياس للمطلوب منه
إجلس حتى يرجع صاحبك فجلس وإياس يقضى وينظر إليه بين
كل ساعة ثم قال ترى بلغ صاحبك موضع الشجرة قال لا قال
ياعدو الله أنت الخائن للأمانة قال أقلنى أقالك الله فأمر بحفظه
حتى جاء خصمه وقضى له على المطلوب منه بعد أن أقر .

القضاء فهم

لما ذاع أمر فراسة إياس جاءه الناس يطلبون منه أن
يعلمهم القضاء فكان يقول لهم إن القضاء لا يعلم إنما القضاء فهم

ولكن قولوا علمنا العلم . ومن كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى — الفهم الفهم فيما يتلجج في صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم واعرف الأمثال والأشياء وقس الأمور عند ذلك واجعل للمدعى أمداً ينتهى إليه فإن أحضر بينة أخذت له بحقه وإلا جعلت عليه القضاء والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيماً في ولاء أو قرابة أو نسب فإن الله عز وجل تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات »

فالقضاء ذكاء وفطنة وتفهم وعلم قال ابن القيم إن الله سبحانه وتعالى يقول : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً » فنخص سليمان بفهم القضية وعمهما بالعلم وقوله تعالى : « إن في ذلك لآيات للمتوسمين » .

وغنى عن البيان أن الفراسة تعين على تجلبة الحق واستخلاصه من الزيف والتمويه والباطل بما هيئته لصاحبها من براعة الاستدلال وضائب الاستنباط .

وإن من شر ما يعيب به القاضى الغباء خصوصاً إذا كان مطبقاً مغلقاً لا يفتح الإدراك صحيح للوقائع وتصوير لها على حقها ثم لا ينهض معه الدهن لتطبيق النص القانونى الذى يضبطها ، على أن من كان هذا حاله لا يمكن بالقضاء إلا ريثما تدبىن وزارة العدل أمره ، ثم تعمل على إخراجه منه بوسيلة أو أخرى .

ما يؤمر به القاضى

فى كتاب العقد الفريد للملك السعيد لأبى سالم محمد بن طلحة الوزير المتوفى سنة ٦٥٢ هـ حديث عن الأركان التى تقوم عليها الجماعة ، وقد جاء به الركن الثانى القضاء وهو من أعظم الأركان وقعاً وأعمها نفعا وعليه مدار مصلحة الأمة ثم تحدث عن الأمور التى يؤمر بها القاضى فقال : (ينبغى أن يكون شديداً من غير عنف ويجعل مجلسه فى وسط البلد ليستوى الجهات إليه وأن ينفرد بسجادة عن الحاضرين ويحث الخصمين على الصلح بعد ظهور الحكم له قبل فصله وبته احترازاً عن التضامن بينهما فان أيا بت الحكم عليهما ولا يبيع ولا يشتري بنفسه ولا يجعل له

وكيلا معروفا في البلد لثلا يراعيه الناس في البيع والشراء ولا يقضى عند تغير طبعه واختلال خلقه بغضب أو حزن أو فرح أو جوع أو عطش أو حر مزعج أو برد مؤلم . . . أو عند غلبة الناس عليه ويحرم عليه أن يرتشى . وإذا حضره خصمان فلا يخص أحدهما بإذن ولا زيادة بشر ولا نظر . . . ويقدم السابق والسابق في فصل القضايا فإن كان منهم امرأة أو مسافر ورأى المصلحة في التقديم قدمه ، ومن جرت منه إساءة أدب في مجلسه عزره بما يراه ولا يقضى لنفسه ولا لولده وإن سفل ولا لوالده وإن علا .

وقد رأى أن يذكر عشر قضايا صدرت من جماعة من المتقدمين من القضاة فيها اعتبار جامع للمتوسمين وادكار نافع وقد رأينا إيراد هذه القضايا لطرافتها وطرافة أسلوبها وأسقطنا منها اثنتين لم نر محللا لشرهما . وسنبداً بذكر القضية الآتية إذ فيها أيضاً من الطرافة القانونية ففهي إشارة إلى التفليسة والقسمة بين الغرماء .

إن غرماءه أثبتوا إفلاسه

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصى حضرت القاضي أبا حازم ،
وقد جاءه طريف المحلوى من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال :
يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان مال ، وقد بلغنا أن غرماءه
أثبتوا عندك إفلاسه وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأخدم وقسط
لنا فقال أبو حازم : قل له أطلال الله بقاءه إذا كر لما قال لى وقت
أن قلدى القضاء قد أخرجت الأمر من عنقى ، وجعلته فى عنقك
ولا يجوز أن أحكم فى مال رجل إلا بينة فرجع طريف وأخبره
فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعنى رجلين جليلين من رجال
الدولة كانا فى ذلك الوقت فقال القاضي : يشهدان عندى
أسأل عنهما فإن زكيا قبلت شهادتهما وإلا أمضيت ما ثبت
عندى فامتنع أولئك فزعا من ألا تقبل شهادتهما ولم يدفع
المعتضد شيئا .

أحييتني أحيالك الله

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوماً
فجرت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الأصوات فيها فاحتج
بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون
منهم أبو هريرة متهم فيما يروونه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد
قد نحنا نحوم فقلت إن الحديث صحيح وأبو هريرة صحيح النقل
صدوق القول فيما يرويه فنظر إلى الرشيد نظرة من غضب
وانصرفت إلى منزلي فلم ألبث أن جاء لي غلام فقال أجب
أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن فدخلت على الرشيد
وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه
النطع فلما بصر بي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع
والرد بقول يمثل ما تلقيتني وتجرات علي فقلت يا أمير المؤمنين
أن الذي قلته ووافقت عليه وجادلت عنه ازدراء على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به فإذا كان أصحابه ورواة حديثه

كذابين والشريرة ماطلة والفرائض مردودة فالله الله يا أمير
المؤمنين قال أحييتني يا عمر بن حبيب أحيك الله وأمر له بعشرة
آلاف درهم .

أى رجلك أطول

رد رجل على رجل جارية اشتراها منه فخاصمه إلى إياس
فقال له بم تردها قال بالحق فقال لها إياس أى رجلك أطول
فقلت هذه فقال اتذكرين ليلة ولدت قالت نعم فقال إياس
رد ، رد ! .

كيف ولى إياس القضاء

كتب عمر بن عبد العزيز إلى نائبه بالعراق وهو عدى
ابن أرطاة أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فول
قضاة البصرة أحدهما فجمع بينهما ، فقال له إياس أيها الأمير سل
عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن البصرى ومحمد بن سيرين
وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما فلم القاسم أنه إن سألهما

أشارا به فقال لا تسأل عني ولا عنه فوالله الذي لا إله إلا هو إن
إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء فإن كنت كاذباً فما يحل
لك أن توليني وأنا كاذب وإن كنت صادقاً فينبغي لك أن تقبل
قولي ، فقال له إياس أنت جئت برجل وقفته على شفير جهنم
فنجى نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف
فقال عدى بن أرطاة أما إذ فهمتها فأنت لها واستقضاه .

إياس الغلام

قدم إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم خصماً له إلى
قاض لعيد الملك بن مروان ، وكان خصمه شيخاً كبيراً ، فقال له
القاضي : أتقدم شيخاً كبيراً ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه ،
قال : اسكت قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقاً
حتى تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقام القاضي فدخل على
عيد الملك فأخبره الخبر ، فقال : افض حاجته وأخرجه من الشام
لئلا يفسد على الناس .

الهادى لا يحلف

خوصم أمير المؤمنين الهادى إلى القاضى أبى يوسف فى
بستان وكان الحكم فى الظاهر للهادى وفى الباطن خلاف ذلك ،
فقال الهادى لأبى يوسف ما فعلت فى الأمر الذى تتنازع إليك
فيه ؟ فقال خصم أمير المؤمنين يسألنى أن أحلف أمير المؤمنين
أن شهوده شهدوا على الحق ، فقال له الهادى وترى ذلك ؟ قال
كان ابن أبى ليلى يراه فقال أردد البستان عليه ، وإنما احتال عليه
أبو يوسف لعلمه أن الهادى لا يحلف .

المأمون أمام القاضى

دخل رجل على المأمون وهو من أعظم خلفاء بنى العباس
وعلمائهم وحكمائهم وفى يده رقعة فيها مظلمة من أمير المؤمنين فقال
المأمون أمظلمة منى ؟ فقال الرجل أفأخاطب يا أمير المؤمنين سواك
قال وماهى ظلامتك ؟ قال إن سعيداً وكيلك اشترى منى جواهر
بثلاثين ألف دينار ، قال فاذا اشترى سعيد منك الجواهر تشكو

الظلامه منى قال نعم إذا كانت الوكالة صحت منك قال لعل سعيداً
قد اشترى منك الجواهر وحمل إليك المال أو اشتراه لنفسه
وعليه فلا يلزمنى لك حق ولا أعرف لك ظلامه فقال له ابن
فى وصية عمر ابن الخطاب لقضائكم : البينة على من ادعى واليمين
على من أنكر ، وأنا أدعوك إلى القاضى الذى نصبته لرعيته ،
قال نعم ، ولما كانا فى مجلس القضاء أمام القاضى يحيى بن أكثم
دعى بالرجل المتظلم فقال له يحيى ما تقول ؟ قال أقول أن تدعو
بخصمى أمير المؤمنين فنادى المنادى فإذا المأمون قد جاء ومعه
غلام يحمل مصلى حتى وقف على يحيى وهو جالس فقال القاضى
للخليفة إجلس فطرح المصلى ليقعد عليها فقال له القاضى لا تأخذ
على خصمك شرف المجلس فطرح لخصمه مصلى أخرى فنظر
فى دعوى الرجل الذى طلب الحلف فطالب القاضى الخليفة
بالبين حلف .

قاض يرد طلب الخليفة

قال عبد الرحيم ابن القاضى اسماعيل بن إسحق كان فى حجر
أبى يتيم فبلغ وله أم وأختها فى دار الخليفة المعتضد بالله فقالت

أم الينيم لأختها كلمى أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضى
الحجر عن ولدى فكلّمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن
وهب وزيره وقال قل لاسماعيل القاضى يفك الحجر عن فلان
فقال القاضى حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد
فتركه ، ومضت على ذلك أيام فرجعت والدّة الصبى إلى أختها
وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يعاود لخشونته
فعاودته فقال ألسنت قد أصرت ؟ فقالت لم يرفع عنه بعد ، فدعا
وزيره عبيد الله ثانياً وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضى أن
يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له ذلك فقال حتى أسأل
عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعاه الوزير ثانياً وقال له أمير
المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضى ساعة
ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه فاستمظم الوزير أن
يختم عنه كتاباً ولم يقل له شيئاً لحل اسماعيل من الورع والعلم ،
ثم رفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا إلى أمير المؤمنين فإنه
جوابه فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هذا جواب

أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده
في هذا فأخذ عبد الله الوزير الكتاب وإذا فيه « بسم الله الرحمن
الرحيم يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » .

لا يثبت الحق إلا بالبينّة

قال العتبي إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك ، إذ أقبل
إبراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين
يديه ، فقال الحرسى إن أمير المؤمنين جرنى في خصومة بينه
وبين إبراهيم

فقال القاضي شاهداك على الجراية - الوكالة - قال أترانى
قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل ؟ قال بلى ولكنه لا يثبت الحق
لك ولا عليك إلا بينة فقام الحرسى إلى هشام فأخبره فلم نلبث
أن قمعت الأبواب وخرج الحرسى فقال هذا أمير المؤمنين
وخرج هشام فلما نظر إليه القاضي أمر أن تبسط له مصلى
وأشار إليه فقعدها وإبراهيم بين يديه وكنا حيث نسمع بعض

كلامهم ويخفى عنا بعضه فتكلما وأحضر البيعة فقضى القاضى
على أمير المؤمنين هشام .

فكلمه ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق إذ قال الحمد لله الذى
أبان للناس ظلمك فقال له هشام لقد هممت أن أضرب عنقك ضربة
يتنثر منها لحمك عن عظمك ، فرد ابراهيم أما والله لئن فعلت لفعلته
بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق .

فقال هشام استرها على قال لاستر الله ذنبى إن سترتها قال
فانى معطيك عليها مائة ألف قال ابراهيم فسترتها عليه حياته ثمناً
لما أخذت منه وأذعتها بعد مماته تزييناً له .

شروع فى رشوة

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضى كان يلى القضاء ببغداد للمهدى
فجاء فى بعض الأيام وقت الظهر للمهدى وهو خال فاستأذن عليه
فلما دخل استأذنه فيمن يسلم إليه القمطر الذى فيه القضايا واستعفاه
من القضاء وطلب منه أن يقبله من ولايته ، فظن المهدى أن بعض
الأولياء قد عارضه فى حكمه فقال له فى ذلك إنه إن عارضك أحد

تنكر عليه ، فقال القاضى لم يكن شىء من ذلك ، قال فما سبب استعفائك من القضاء ؟ قال يا أمير المؤمنين تقدم لى خصمان منذ شهر فى قضية مشككة وكل يدعي بينة وشهوداً ويدلى بحجج تحتاج إلى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا ، وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما أنى أحب الرطب فعمد - فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب - فجمع رطباً لا يتها فى وقتنا هذا جمع مثله لأمر المؤمنين وما رأيت أحسن منه ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن يرد عليه . فلما ادخله على أنكرت ذلك وطردت بوابى وأمرت برد الطبق فرد عليه .

فلما كان اليوم تقدم الخصمان إلى فماتساويا فى عيني ولا قلبى ، فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالى لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة فى دينى وقد فسد الناس فأقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله وأعفى عفا الله عنك

أنا بالله ثم بالقاضي

أتت امرأة يوماً شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضي : قال من ظلمك ؟ قالت الأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين كان لي بستان على شاطئ الفرات فيه نخل ورثته عن أبي وقاسمت أخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطاً وجعلت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الأمير موسى بن عيسى من جميع أخوتي وساومني ورغبني فلم أبعه فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسمائة غلام وفاعل فاقتلموا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً فقال القاضي يا غلام أحضر طينة فأحضر نختها ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه ، فقال أدع لي صاحب الشرطة فدعا به فقال امض إلى شريك وقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة إدعت دعوى لم تصح أعديتها على قال صاحب الشرطة إن رأي أمير المؤمنين أن يعفني من ذلك فقال امض ويحك فخرج . وقال لغلمايه اذهبوا واحملوا إلى حبس القاضي بساطاً وفرشاً

وما تدعو الحاجة إليه ثم مضى إلى شريك فلما وقف بين يديه
أدى الرسالة فقال لعلام المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال
صاحب الشرطة والله قد علمت أنك تحبسنى فقدمت ما احتاج
إليه في الحبس .

وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب إليه وقال له
رسول أدى رسالة أي شيء عليه ؟ فقال شريك اذهبوا به إلى
رفيقه إلى الحبس فحبس .

فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحق بن الصباح الأشعثي
وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك وقال لهم
أبلغوه السلام وأعلموه أنه استخف بي وأنى لست كالعامية ،
فمضوا إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة
فلما انقضى كلامهم قال لهم مالى أراكم جثتموني في جمع من الناس
فكلمتموني ؟ من هنا من فتيان الحي ؟ فأجابه جماعة من الفتيان
قال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل ليذهب به إلى الحبس

ما أنتم إلا فتنة وجزاؤكم الحبس قالوا له أبجاد أنت ؟ قال حتى لا تعودوا الرسالة ظالم ، فحبسهم .

فركب موسى بن عيسى في الليلة إلى باب السجن وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجاء تريرك للقضاء جاءه السجنان فأخبره فدعا بالقمطر فختمه ووجه به إلى منزله وقال لعلامه الحق بثقلى إلى بغداد والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول : يا أبا عبد الله تثبت انظر أخواتي أتمحبسهم دع أعوانى قال نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يحزلهم المشى فيه واست يبارح أو يردوا جميعاً وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي فاستعفيته مما قلدنى .

فأمر موسى بردهم جميعاً إلى الحبس فقال لأعوانه خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال :

هذا خصمك قد حضر فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه :
قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال
شريك : أما الآن فنعم أخرجوهم من الحبس ، فقال ما تقول فيما
تدعيه هذه المرأة قال صدقت قال ترد ما أخذت منها وتبني حائطها
سريماً كما كان ، قال افعل ذلك قال لها اتقي لك عليه دعوى ؟
قالت لا وبارك الله عليك وجزاك خيراً قال قومي فقامت
من مجلسه .

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه
وقال السلام عليك أيها الأمير ذاك الفعل حق الشرع وهذا القول
الآن حق الأدب فقام الأمير وانصرف إلى مجلسه .

توقير مجلس القضاء

العتبي قال تنازع ابراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطبيب
- اسم سرياني مركب من كلمتين بخت ومعناها عبد ويشوع
هو يسوع - بين يدي أحمد بن أبي دؤاد القاضي في مجلس الحكم
في عقار بناحية السواد فزري عليه ابن المهدي وأغلظ له بين يدي

أحمد بن أبي دؤاد فأحفظه ذلك فقال يا إبراهيم إذا نازعت أحداً
في مجلس الحكم فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً ولا أشرت
إليه بيد وليكن قصدك أمماً وكلامك معتدلاً وريحك ساكنة
ووف مجالس الحكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والتوجه
إلى الواجب فإن ذلك أشبه بك وأشكل لمذهبك في محتدك وعظيم
خطرك ولا تعجل قرب عجلة تهب ريشاً والله يعصمك من الزلل
وخطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك
من قبل إن ربك حكيم عليم ، قال إبراهيم أصلحك الله أمرت
بسداد وحضضت على رشاد ولست عائداً إلى ما يثلم مروءتي عندك
ويسقطني من عينك ويخرجني عن مقدار الواجب إلى الاعتذار
فها أنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه معترف
بجرمه فإن الغضب لا يزال يستفزني بمواده فيردني مثلك بحلمه
وتلك عادة الله عندك وعندنا منك وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد
وهبت حتى في هذا المقار لبختيشوع فليت ذلك يكون وافياً
ولن يتلف مال أفاد موعظة وبالله التوفيق .

قضى للجمالين على أمير المؤمنين

قال غير المدني قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد ابن عمران الطلحي يتولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره فأمرني أن أكتب إلى المنصور بالحضور معهم أو انصرفهم فقلت له أعفني من ذلك فهو يعرف خطي فقال اكتب فكتبت وختمت فقال والله ما عفى به غيرك ففضيت به إلى الربيع حاجبه وجعلت اعتذر إليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور .

ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حصر وجوه أهل المدينة والاشراف وغيرهم إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم أني دعيت إلى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم إذا خرجت ولا تبدووني بالسلام .

ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه وهو في إزار ورداء فسلم على الناس فما قام إليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضي

أطلق رداءه على عاتقه ثم اجتبي به ودعا بالخصوم والحمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف .

فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فإذا قام القاضي من مجلسه فادعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتنا أحسن الجزاء ، وقد أمرت لك بعشرة آلاف صلة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة .

أبو دلالة يشهد

شهد أبو دلالة لجارة له عند ابن أبي يعلى القاضي على إتان نازعها فيها رجل فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبي يعلى اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض بما شئت قال هات فأنشده :

إن الناس تغطونى تغطيت عنهم وإن يحشوا عني ففهم مباحث
وإن حضروا بئري خفرت بشارهم فسوف ترى ما تشير النبأث
فأقبل القاضي على المرأة وقال أتبيعينى الأتان ؟ قالت نعم

قال بكم ؟ قالت بعائة درهم قال ادفعوها إليها ففعلوا .

وأقبل على الرجل فقال قد وهبتها لك وقال لأبي دلالة قد
أمضيت شهادتك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن
رضيت ؟ قال نعم وانصرف .

بين قاض وامراته

ولما ولي القضاء على مصر ثوبة بن عمر الحضرمي دعا امرأته
عقبه الأشجعية وقال لها :

أى صاحب كنت لك ؟ قالت خير صاحب وأكرمه .
قال فاسمى لا تعرضى لى فى شىء من القضاء لا تذكرينى
بخصم ولا تسألينى عن حكومة فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق
فأما أن تقيى مكرمة وأما أن تذهبي ذميمة » .

من يحجر على القاضى

كان ثوبة بن عمر الحضرمي متلافا لماله لا يملك شيئاً إلا وصل
به إخوانه فلما ولي قضاء مصر فى زمن هشام بن عبد الملك رأى أن
يحجر على المبذر فرفع إليه غلام من حمير كان لا يبقى على شىء من ماله

فقال له توبة أرى أن أحجر عليك، فقال الغلام ومن يحجر عليك
أيها القاضي ؟ والله ما نبلغ من أموالنا عشر معشار من تبذيرك
فسكت توبة ولم يحجر على سفيه بعد .

لست قابلاً لشهادتك

اختصم رجل وامرأته عند توبة فطلقها فقال توبة متعها
فقال لا أفعل قال فسكت عنه لأنه لم يره لازماً له فأتاه الرجل
الذى طلق امرأته في شهادة قال له توبة لست قابلاً لشهادتك قال
ولم ؟ قال إنك أبيت أن تكون من المحسنين وأبيت أن تكون
من المتقين ولم يقبل له شهادة .

أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس

أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس توبة بن نمر في زمن
هشام بن عبد الملك وإنما كانت الأحباس في أيدي أهلها وفي أيدي
أوصيائهم فلما كان توبة قال ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى

الفقراء والمساكين فأرى أن أصنع يدي عليها حفظاً لها من البوار
والتوارث فلم يمت توبة حتى صارت الأحباس ديواناً عظيماً .

كيف ولي ابن خدامر القضاء

كان وفد من أهالي مصر وفدوا على سليمان بن عبد الملك وفيهم
ابن خدامر الصنعاني مولى سبأ فسألهم سليمان عن أهل المغرب
فأخبروه وأبى بن خدامر أن يتكلم فلما خرجوا قال له عمر بن
عبد العزيز ما منعك من الكلام يا أبا مسعود قال خفت الله أن
أكذب فمر بها له عمر فلما ولي كتب إلى أيوب بن شرحبيل
بولاية بن خدامر القضاء فوليه من سنة مائة إلى سنة خمس ومائه .
شبهه بذلك سبب تولية عمر شريحاً القضاء على ما سبق ذكره

أبو حنيفة يرفض القضاء

روى ابن عابدين في حاشيته على الدر أن أبا حنيفة دعي إلى
القضاء ثلاث مرات فأبى حتى ضرب في كل مرة ثلاثين سوطاً
فلما كان في المرة الثالثة قال حتى أستشير أصحابي ، فاستشار أبا يوسف

فقال له لو تقلدت لنفعت الناس فنظر إليه أبو حنيفة نظر المغضب
قال أرايت لو أمرت أن أعبر البحر سباحة أكنت أقدر عليه
فكأنى بك قاضياً .

قال الأستاذ محمد الخضرى فى كتابه تاريخ التشريع الإسلامى :
أدرك أبو حنيفة تحول الأمر من بنى أمية إلى بنى العباس وكانت
الكوفة مركز الحركة الكبرى فى هذا الانتقال وبها تمت بيعة
أبى العباس السفاح ولم نسمع له فى تلك الحركة ذكراً إلا أنه يقال
أن يزيد بن هبيرة والى العراق من قبل مروان بن محمد عرض عليه
ولاية القضاء فأبى فضربه من أجل ذلك وأنه إذا سهل علينا أن نفهم
إباء شخص أن يتولى القضاء فلا نكاد نفهم أن يضرب على ذلك إذ
أن الضرب بالسوط وهو نهاية الاحتقار لا يفعله عاقل ليحمل إنساناً
على تولى أشرف منصب بعد الامارة وهو منصب القضاء إذا لم
يكن ثم إلا الإباء فأنا لا نظن أنه يحدث فى قلب الأمير من الضغينة
ما يحمله على إجراء تلك العقوبة لا سيما أن الققهاء كانوا متوافرين
فلا يعز على ابن هبيرة أن يختار من بينهم من يؤدى هذه المهمة ،

لإني أظن أن هذا العرض كان العرض منه محنة المعروض عليه حتى يعرف مقدار ولائه للحكومة فإن العلماء على ما يظهر كانوا يمتنعون عن أن يتولوا عملاً في حكومة لا يحبونها لئلا يكون ذلك تأييداً لها وقد حصل أنه قام بالكوفة في هذا العهد ثائران أولهما زيد بن علي بن الحسين الذي خرج سنة ١٢٢ في خلافة هشام بن عبد الملك وامارة يوسف بن عمر الثقفي على العراق فقتل والثاني عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر في عهد اضطراب الجبل سنة ١٢٧ وقد كانت بدت من أبي حنيفة كلمة تدل على امتداح زيد كما نقل ذلك عن كتبوا سيرته ويمكن أن يكون عاد ذلك منه في أيام عبد الله بن معاوية فاراد ابن هبيرة أن يختبر ولأه ابن أمية فعرض عليه القضاء فامتنع فضر به لأنه شعر بانحرافه عن بني أمية لأنه لا أبي أن يتولى القضاء .

ويرى الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه عن أبي حنيفة أنه عندما رفض القضاء ما كان يرفضه لأنه لا يوافق المنصور فقط ، بل يرفضه لأنه يراه عملاً خطيراً ربما لا تقوى نفسه على احتماله

ولا يقوى ضميره على تلقى تبعاته ولا تقوى إرادته على ضبط نفسه
عن أهوائها في الأمور التي تكتنف منصبه ولا يقوى على تنفيذ
الحق في كل الناس ، فهو يرى في القضاء محنة دونها كل محنة ، ولقد
كنا نعتقد ذلك جازمين أنه يرفض لذلك فقط وأنه لا يطوى في
ثنايا الرفض أى نزعة سياسية لولا أنه يرفض الافتاء أيضاً والافتاء
إنما يكون فيما يشكل على القضاء وكان القوى الجرىء اللهم إلا
أن يقال إن إفتاءه عند ما تعرض عليه مسائل القضاء حكم وهو لا
يريد الحكم بأي شكل من الأشكال .

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص عامه في مصر أن
يولى القضاء كعب بن يسار وكان ممن قضاوا في الجاهلية فأبى كعب
فولى عمرو عثمان بن قيس بن أبي العاص فاتخذها عمال مصر سنة
فكانوا يولون القضاة من قبلهم .

قاض يعمل الارسان

كذلك امتنع عن أن يلى القضاء حياة بن شريح فقد دعى إلى
قضاء مصر هو وأبو خزيمة وعبد الله بن عباس البيسانى ، عرض

الأمير أولا على حياة بن شريح فامتنع فدعى له بالسيف فلما رأى ذلك أخرج مفتاحاً كان معه وقال هذا مفتاح بيتي ولقد اشتقت إلى لقاء ربي ، فلما رأى الأمير عزيمته تركه ثم دعا بأبي خزيمة فعرض عليه القضاء أيضاً فامتنع فدعا له بالسيف فضعفت نفسه ولم يحتمل فأجاب إلى القبول وولى القضاء بمصر ، وكان أبو خزيمة يعمل الأرسان وكان يعمل كل يوم رسنين واحداً ينفقه على نفسه وأهله وآخر يبعث به إلى إخوان له من أهل الإسكندرية فلما ولى القضاء كتب إليه أهل الإسكندرية إنا لله وإنا إليه راجعون إن كانت الدنيا مالت بك أن تقطع ما كان الله يجريه على يديك في سبيل الله فقال معاذ الله فكان يعملها ويبعث بها إليهم ، قال المفضل وكان إذا غسل ثيابه أو شهد جنازة أو اشتغل بشغل لم يأخذ من رزقه بقدر ما اشتغل وقال إنما أنا عامل للمسلمين فإذا اشتغلت بشيء غير عملهم فلا يحل لي أخذ ما لهم ، قال المفضل دخلنا عليه فقلنا كيف نحمدك يا أبا خزيمة قال أصبحت وأمسيت بين رجلين إما حامد وإما ذام ولله يدخل على في اليوم الواحد خلق كثير

من الناس أريد أن أعد لكل واحد منهم جواباً مخافة أن يزيغني على ذلك . ومن طريف ما وقع له في قضائه أنه لما ولى القضاء مر به رجل من الإسكندرية وهو في مجلس الحكم فقال لأختبرن أبا خزيمه فوقف عليه وقال يا أبا خزيمه احتجت إلى رهن لفرس فقام أبو خزيمه إلى منزله فأخرج رهناً فباعه ثم جلس من غير أن يستفزه غضب .

على القضاء ساعة

وجاء بالأغاني أن الحسن بن زيد إسحاق دعا طلحة بن عمر ابن عبد الله أيام كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه وبلغ ذلك الحسن بن يزيد فأرسل إليه فأتى به فقال إنك تلاحجت على ، وقد حلفت ألا أرسلك حتى تعمل لي فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلس القضاء والجنود على رأسه فجاء داود بن مسلم فوقف عليه فقال :

طلبوا الفقه والمروءة والحلم وفيك اجتمعن يا إسحاق
فقال : ادفعوه ودفعوه فنحى عنه فجلس ساعة ثم قام من
مجلسه فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء .

قاض لا يقرأ ولا يكتب

لما قدم مروان بن الحكم مصر سأل عن القاضى ف قيل هو
حامر بن سعيد فدعاه فقال أجمعت القرآن قال لا قال فتفرض
الفرائض قال لا قال فتكتب بيدك قال لا قال فبم تقضى قال أقضى
بما علمت وأسأل عما جهلت قال أنت القاضى .

ثم ان مروان سأل بهد ذلك عن فريضة فأصاب
وسأله عن مسألة فى الطلاق فأصاب وسأله عن شىء من
القرآن فأصاب فقال مروان عباد الله ألا تعجبون من عابس
زعم أنه لا يحسن الفرائض والقرآن ولكن المؤمن يهضم
نفسه .

قال عبد الله سألت حسن بن عبد الله كيف جعل عابس قاضياً وهو أعرابي مدري قال إنه جالس عقبه بن عامر وعبد الله بن عمرو حتى استفرغ علمهما ثم أقره عبد العزيز بن مروان على القضاء والشرط ثم استخلفه حين خرج إلى الشام .

وجاء عنه في تاريخ القضاء في الإسلام للقاضي الشيخ محمود محمد عرنوس من أظرف ما يروى عن قضاة مصر أن عابس بن ربيعة المراوى قاضى مصر فى زمن معاوية بن أبى سفيان كان أمياً وقد ولى القضاء لأمر سياسى على ما يظهر من الحادثة الآتية .

كتب معاوية إلى مسلمة يأمره بأخذ البيعة ليزيد فأتى مسلمة الكتاب وهو بالإسكندرية فكتب إلى النائب بذلك فى مصر فبايع الناس إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فأعاد عليه مسلمة الكتاب فلم يقبل فقال مسلمة من لعبد الله بن عمرو فقال عابس أنا فقدم الفسطاط فبعث إلى عبد الله بن عمرو فلم يأتته فدعا بالنار والخطب ليحرق عليه قصره فأتى فبايع وبعده ذلك تولى عابس القضاء واستمر فى قضاء مصر حتى دخلها مروان بن الحكم فى سنة خمس وستين ، وقد توفى سنة ثمان وستين .

شُريح يتزوج

قال الشعبي : قال لى شريح : يا شعبي عليكم بنساء بنى تميم فانهن للنساء قلت وكيف ذاك ؟ قال انصرفت من جنازة ذات يوم مُظهرا فمررت بدور بنى تميم فاذا امرأة جالسة فى سقيفة على وسادة وتجاهها جارية كأحسن من رأيت من الجوارى فاستسقيت - وما بى من عطش - فقالت أى شراب أعجب إليك؟ التبيذ أم اللبن أم الماء ؟ قلت : أى ذلك تيسر عليكم قالت اسقوا الرجل لبنا فانى أخاله غريبا فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتنى فقلت من هذه؟ قالت ابنتى فقلت وممن قالت زينب بنت جدير قلت أ فارغة أم مشغولة ؟ قالت بل فارغة قلت أتزوجينها قالت نعم إن كنت كفتا ولها عم فاقصده .

وانصرفت إلى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فأرسلت إلى إخوانى القراء ووافيت معهم صلاة العصر فاذا عمها جالس

وقال أبا أمية حاجتك قلت إليك قال وما هي ؟ قلت ذكرت لى بنت أخيك زينب فقال ما بها عنك رغبة ثم زوجنيها وما بلغت منزلى حتى ندمت وقلت تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفأها ثم هممت بطلاقها ولكن قلت أجمعها إلى فان رأيت ما أحب وإلا طلقها .

ثم مكثت أياما حتى أقبل نساؤها يهادينها ولما أدخلت قلت يا هذه إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلى ركعتين وتصلى ركعتين ويسألا الله خير ليلتهما ويتعوذا به من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى ولما قضينا الصلاة قالت لى إني امرأة غريبة وأنت رجل غريب لا علم لى بأخلاقك فبين ما تحب فأتيه وماتكره فانزجر عنه فقلت قدمت خير مقدم قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم وأنت سيدة نساؤهم أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فاثبتتها وما رأيت من سيئة فاستريتها قالت أخبرنى عن أختانك - كل من كان قريبا للزوجة أو الصهر - أتحب أن

يزوروك ؟ فقلت أنى رجل قاض وما أحب أن تملوني قالت فمن
تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه
قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء .

فأقمت عندها ثلاثاً ثم خرجت إلى مجلس القضاء فكنت
لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذي قبله حتى إذا كان رأس
الحمول دخلت منزلى امرأة عجوز تأمر وتنهى قلت يازينب من
هذه قالت أمى فلانة قلت حياك الله بالسلام قالت أبا أمية كيف
أنت وحالك قلت بخير أحمد الله قالت أبا أمية كيف زوجك
قلت كخير امرأة قالت إن المرأة لا ترى فى حال أسوأ خلقاً منها فى
حالتين إذا حظيت عند زوجها وإذا ولدت غلاماً فإن رأيت منها ريب
فالسوط فإن الرجال ما حازت - والله - بيوتها شراً من المتدله .
قلت أشهد أنها ابنتك فقد كفيتنى الرياضة وأحسننت
الأدب قالت أتحب أن يزورك أختانك قلت متى شاؤوا .

قال شريح فكانت كل حول تأتينى وتوصى تلك الوصية
ثم تنصرف ومكثت عشرين عاماً فما غضبت عليها الإمرة كنت
لها فيها ظالماً .

قاض يستفتى الخليفة

كتب عياض بن عبيد الله الأزدي قاضى مصر من قبل عمر
ابن عبد العزيز يسأله فى أمر الشفعة وأن سلفه كانوا يقضون
فيها للأول فالأول من الجيران فكتب له أن يجعلها للشريك
وحده وقال إذا وضعت الحدود بين أهل الشرك فى الميراث أو غيره
وضربت مداخل الناس التى يدخلون منها دورهم وأرضهم فقد
انقضت الشفعة .

قاض وجارية

قالت ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب أرسلتنى
مولاتى فاطمة فى حاجة فررت برحبة القضاء فإذا مصنعة العيسى
خليلة جعفر بن سليمان يقضى بين الناس فأرسل إلى فدعانى ،
وقد كنت رطلت شمعى — لينته بالدهن — وربطت فى أطرافه
من ألوان العهن فقال ما هذا ؟ فقلت شىء أتألمح به فقال : يا حرس
قنعها بالسوط قالت : فتناولت السوط بيدي وقلت قاتلك الله

ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن إبراهيم سعد يجلد الناس
في السباجة وأنت تجلدهم في الملاحة قال الشاعر :

جلد العادل سعد ابن سليم في السباجة
فقضى الله لسعد من أمير كل حاجة

قالت : فضحك وقال : خل عنها . قالت : فكان يسوم
لى وكانت مولاتى تقول : لا أبيعها إلا أن تهوى ذلك وأقول
لا أجد بأهلى بدلا .

من غلب إياس

روى عن إياس إنه قال ما غلبنى أحد قط سوى رجل واحد،
وذلك أنى كنت فى مجلس القضاء بالبصرة فدخل على رجل شهد
عندى أن البستان الفلانى وذكر حدوده هو ملك فلان فقلت له :
كم عدد شجره ؟ فسكت ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضى
فى هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا فقال : كم عدد خشب سقفه ؟
فقلت له : الحق معك وأجزت شهادته .

شاهد آخر غلب القاضى ابن شبرمه

أتى رجل ابن شبرمه بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل
فشهدوا وكانوا عدولا فسألهم كم فى القراح من نخلة ؟ قالوا : لا نعلم
فرد شهادتهم فقال له رجل منهم : أنت كم تقضى فى هذا المسجد فقال
منذ ثلاثين سنة فقالوا فأعلمنا كم فيه من اسطوانة ؟ فأجازهم .

* * *

وكيل نيابة يسأل المستشارين

أذكرنى ما جاء بالواقعتين السابقتين ما حدث من أحد وكلاء
النائب العام وقد وكل إليه المرافعة فى إحدى الجنايات فقد لاحظ
أن المستشارين والمحامين عن المتهم يسألون شهود الأثبات فى القضية
عما كان يلبسه المتهم عند ما أطلق العيار النارى على القتل ، وقد
ناقض الشهود بعضهم بعضاً تناقضاً بيناً فيما شهدوا به عن هذه
الواقعة وقد خشي وكيل النيابة أن يكون ذلك سبباً فى أن لا تطمئن
المحكمة إلى شهادة هؤلاء الشهود ، فسكت حتى إذا جاء دوره

في المرافعة ، ورغب في أن يرد على ما أنف ذكره من تناقض بين
الشهود فوضع ورقة كانت معه على رباط رقبته خبأه ، ثم توجه
إلى المستشارين متسائلاها أنا أتحدث إليكم منذ الصباح ، فهل
منكم من يذكر لون رباط رقبتي ؟

ولقد كانت تلك من وكيل النيابة دفعة بارعة دعم بها
الإتهام ، فلم يوهنه ما كان من تناقض الشهود إذ توضح أنه
ليس ذا بال .

إياس يفسر حلمًا بتاريخ وفاته

قال إياس في العام الذي توفي فيه : رأيت في المنام كأني
وأبي على فرسين فجريا معًا ، فلم أسبقه ولم يسبقني وعاش أبي
ستًا وسبعين سنة وأنا فيها ، فلما كان آخر لياليه قال : أتدرون
أى ليلة هذه ؟ ليلة أستكمل فيها عمر أبي ونام فأصبح ميتًا .

قاض يحبذ الميل

كان عبدالله بن أبي بكرة قاضياً وكان يميل في الحكم إلى إخوانه
فقيل له في ذلك فقال : وما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه .

قاض يحذر من الميل

قال ابن سيرين كنا عند أبي عبيدة بن أبي خزيمة في قبة له وبين يديه كانون له فيه نار ، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه فساره بشيء لا ندرى ماهو فقال له أبو عبيدة : ضع لى إصبعك فى هذه النار ، فقال له الرجل : سبحان الله تأمرنى أن أضع لك إصبعى فى هذه النار فقال له أبو عبيدة : أتدخل على بإصبع من أصابعك فى نار الدنيا ، وتسألنى أن أضع لك جسدى كله فى نار جهنم ؟ قال : فظننا أنه دعاه إلى القضاء .

قاض ينطق بالحكم عند المعاينة

قال قائل كان بينى وبين جار لى مشاجرة فى حائط فقالت لى أمى : امض إلى القاضى المفضل بن فضالة تسأله أن يأتى ينظر إلى هذا الحائط ، فمضيت إليه وأخبرته ، فقال لى : أجلس لى بعد العصر حتى أوافيك ، فأتى فدخل إلى دارنا فنظر إلى الحائط ثم دخل إلى دار جارنا فنظر إليه فقال الحائط لجاركم .

يدافع عن قضائه بعد عزله

لقى رجل المفضل بعد أن عزل فقال : حسبك الله قضيت
على الباطل وفعلت وفعلت ، فقال المفضل : ولكن الذي قضينا
له يطيب الثناء .

مجلس للقاضي صيفاً وآخر شتاء

ولى القضاء على مصر من قبل المأمون هرون بن عبد الله
سنة ٢١٧ من الهجرة ، فجعل مجلسه في الشتاء في مقدم المسجد
الجامع واستدبر القبلة وأسند ظهره بجدار المسجد ومنع المصلين
أن يقربوا منه وباعد كتابه عنه وباعد الخصوم ، وكان أول من
فعل ذلك واتخذ مجلساً للصيف في صحن المسجد وأسند ظهره
للحائط الغربي .

إمتحان من يطلب للقضاء

كان يحيى بن اكثم يمتحن من يريد للقضاء فقال لرجل :
ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل

واحد من امرأته ولد ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له
يحيى : كل واحد من الولدين عم لآخر لأمه - تأمل .

شاهد يرد على القاضي تهكمه

شهد رجل عند الحارث بن مسكين فقال له الحارث :
ما اسمك ؟ قال : جبريل ، فقال له الحارث : لقد ضاقت عليك
الأسماء حتى سميت بأسماء الملائكة ، فقال له الرجل : كما ضاقت
عليك الأسماء حتى سميت بإسم الشيطان فان اسمه حارث .

كان يقضى بعلمه

قال أحمد بن الحارث بن مسكين بلغني أن أبي قبل سليمان
لغير شاهد شهد له وقال : أنا به عارف .

أبو حنيفة وجاره

كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يغني في غرفته ويسمع
أبو حنيفة غناؤه فيعجبه وكان كثيراً ما يغني :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
فلقيه العسس ليلة فأخذه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته
تلك الليلة فسأل عنه من غد فأخبر فدعا بسواده وطويلته فلبسهما
وركب إلى عيسى بن موسى ، فقال له إن لي جاراً أخذه عسسك
البارحة فحبس وما علمت منه إلا خيراً ، فقال عيسى سلموا إلى
أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً ، فلما
خرج المغنى دعا به أبو حنيفة ، وقال له سرّاً ألت كنت تغني
يابنى كل ليلة أضاعوني وأى فتى أضاعوا ، فهل أضعنأك ؟ قال لا
والله ، ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاك قال عد
إلى ما كنت تغنيه فاني كنت آنس به ولم أر به بأساً قال أفعل .

ابن جامع المغنى وأبو يوسف

قدم ابن جامع قدمة له من مكة على الرشيد وكان ابن جامع حسن
السمت قد بان أثر السجود في جبهته وكان يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة
طويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسياً في زى أهل الحجاز
فوقف على ما كان يقف عليه الناس في القديم حتى يؤذن لهم أو ينصرف .

ويذنا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن عليه
إذ أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانص فلما هجم على
الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحدثه فوقعت عينه على
ابن جامع فرأى سمته وحلاوة هيئته فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له
أمتع الله بك تو سمت فيك الحجازية والقرشية قال أصبت قال :
فمن أى قریش أنت قال من بنى سهم قال فأى الحرمین منزلك
قال مكة قال ومن لقيت من فقهاءهم قال قل عمن شئت ففاتحه
الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب فأعجب به ونظر الناس إليهما
فقالوا هذا القاضي أبو يوسف فلما أقبل على المغنى ، وأبو يوسف
لا يعلم أنه ابن جامع فقال أصحابه لو أخبرناه عنه ثم قالوا : لا ، لعله
لا يعود إلى موافقته بعد اليوم فلم نفعه .

فلما كان الإذن المأني ليحيى غدا عليه الناس وغدا عليه
أبو يوسف فنظر يطلب ابن جامع فرآه فذهب فوقف إلى جانبه
فحدثه طويلا كما فعل في المرة الأولى فلما انصرف قال له أصحابه
أيها القاضي أتعرف هذا الذى تواقف وتحادث قال نعم رجل من

قريش من أهل مكة من الفقهاء قالوا هذا ابن جامع المغنى قال
إنا لله ، قالوا إن الناس شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك ،
فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكبه ،
وعرف ابن جامع أنه قد أُنذر به فجاء فوقف فسلم عليه فرد عليه
أبو يوسف السلام بغير ذلك الوجه الذى يلقاه به ثم انحرف عنه ،
فدنا منه ابن جامع ، وعرف الناس القصة ، وكان ابن جامع جهوراً
فرفع صوته ثم قال يا أبا يوسف مالك تنحرف عني أى شيء
أنكرت ؟ قالوا لك ، إني ابن جامع المغنى فكرهت مواقفتي ؟ أسألك
عن مسألة ثم اصنع ماشئت ومال الناس فأقبلوا نحوها يستمعون
وقال يا أبا يوسف لو ان أعرابياً جلفاً ، وقف بين يديك فأشذك
بجفاء وغلظة من لسانه وقال :

يَا دَارِمِيَّةَ بِالْعُلَيَاءِ فَالسَّندُ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَأْفُ الْأَمَدِ

أ كنت ترى بذلك بأساً ؟ قال لا قد روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم في الشعر قول وروى في الحديث .

قال ابن جامع فان قلت أنا هكذا ثم اندفع يغني فيه حتى أتى عليه ثم قال يا أبا يوسف رأيتني زدت فيه أو نقصت منه . قال : عافاك الله أعفنا من ذلك ، ثم قال يا أبا يوسف أنت صاحب فُتْيَا ما زدتُه على أن حسنته بألفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب ثم تنحى عنه ابن جامع .

قاضى القضاة أبو يوسف

أبو يوسف يتحدث عن نفسه

جاء بذرات الذهب أنه قال : كنت اطلب الحديث والفقه وأنارت الحال فجاءني أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال لى يا بنى لا تمدد رجلك مع أبي حنيفة ، فان أبا حنيفة خبره مستو وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عنه كثيراً في الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة وسأل عنى فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى قال ما شغلك عنا

قلت الشغل بالماش وطاعة والذى فجلست ، ولما انصرف الناس
دفع إلى صرة ، وقال استمتع بها فاذا فيها مائة درهم وقال لى إلزم
الحلقة ، وإذا فرغت هذه فأعلمنى فلزمت الحلقة فلما مضت مدة
يسيرة دفع إلى مائة أخرى ثم كان يتعهدنى ، وما اعلمته بخلة قط
ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت
ومتوات .

قال حماد بن أبى حنيفة رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه
أبو يوسف وعن يساره زفر وهما بتجادلان فلا يقول أبو يوسف
قولا إلا أفسده زفر ولا يقول زفر قولا إلا أفسده أبو يوسف
إلى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب
بها فخذ زفر وقال لا تطمع فى رياسة بلد فيها أبو يوسف
وقضى لأبى يوسف على زفر ولم يكن بعد أبى حنيفة من أصحابه
مثل زفر .

من مآثر أقواله

العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلاك

قال عند وفاته كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه إلا ما وافق الكتاب والسنة .

اللهم إنك تعلم إنى لم أجز في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك متعمداً ، ولقد اجتهدت في الحكم فيما يوافق سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وكل ما أشكل على فقد جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه .

قال ابن خلكان : هو أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز أحد عن أحد بلباس .

أول قاض للقضاة

قال المقرئ : فلما قام هرون الرشيد بالخلافة ولى القضاء أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة ، فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من أشار به القاضى أبو يوسف واعتنى به ، والأصل أن القاضى ليس له أن يستخلف غيره ما لم يؤذن له فى ذلك من المولى صراحة أو دلالة فإذا أذن له المولى وقال له جعلتك قاضياً وأذنت لك بالاستخلاف صار له أن يستخلف ، كما أنه إذا قال له جعلتك قاضى القصاة هو الذى يتصرف فى القصاة تقليداً وعزلاً فيكون مأذوناً بالاستخلاف دلالة ، وينبغى لقاضى القضاة ان يتفقد قضاته ونوابه ، فيتصفح أفضيتهم ويراعى أمورهم وسيرهم فى الناس .

عهد إليه الرشيد فى ان يكتب له كتاباً خاصاً فى حماية الأموال وتوزيعها ، وهو الأثر الجليل الباقي من عهده إلى اليوم المعروف بكتاب الخراج .

قأض يأمر أهل مصر بتغيير زيهم

ولى القضاة محمد بن الليث الأدهم من قبل إسحق المعتصم سنة ٢٣٦ هـ ولما أن ولى نادى مناديه برئت الذمة من رجل كان فى يديه شىء من مال يتيم وغائب إلا أحضره ، قتسرع الناس إلى إخراج ما فى أيديهم وحملوه إلى بيت المال خوفا من سطوته بهم وقد شاهد الأخبار بنفسه ودونها بخطه وقضى فى كثير منها . وروى انه قال لقد هممت ان اضع يدى على كل حبس بمصر يتولاه أهله مما ليس له ثبت فى ديوان القضاة احتياطا له .

وقد اقام محمد بن ابى الليث رجلا يرفع على هارون بن عبد الله انه استهلك مالا من بيت المال فأمر ابن ابى الليث بإحضار هارون إلى مجلسه وناظره مرة بعد أخرى وامتنهه وثبت على هارون ما رفع إليه ، وذلك انه كان يدفع مفتاح التابوت إلى غير ثقة فاستهلك شيئا كثيرا .

قيل كان زى اهل مصر وجمال شيوخهم وأهل الفقه والعدالة منهم لباس القلائس الطوال كانوا يبالغون فيها ، فأمرهم ابن ابى الليث

بتركها ومنعهم لباسها وأن يشبهوا بلباس القاضي وزيه ، فلم
ينتهوا ، فجلس ابن أبي الليث في مجلس حكمه في المسجد ، واجتمع
أولئك الشيوخ عليهم القلانس فأقبل عبد الغنى ومطر جميعاً
فصربا رؤوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم ، وكانت قلانس
الشيوخ يومئذ في أيدي الصبيان يلعبون بها ، وكانوا بعد ذلك
لا يدخلون إلى ابن أبي الليث ولا يحضرون مجلسه في قانسوة ، إلا
أنه يظهر أنهم كانوا يلبسونها وهم مستخفون ، إذ قال قائل

وأخفت أيام الطوال وأهلها
فرموا بكل طويلة لم تقصر
مازلت تأخذهم بطرح طواهم
والمشى نحوك بالرؤوس الحسر
حتى تركتهم يرون لباسها
بعد الجمال خطئة لم تغفر
يتفزعون بكل قطعة خرقه
يجدونها من أعين ومخبر

فاذا خلا بهم المكان مشوا بها
وتأبطوها فى المكان الأعر

ولكن حدث أن النيل توقف فاستسقى أهل مصر
وحضر ابن أبى الليث القاضى الاستسقاء فوثب المصريون عليه
بسبب غلاء القمح وأخذوا قلنسوته فلعبوا بها كما فعل
يقلائسهم .

رؤية هلال رمضان

طلب الناس هلال رمضان وعبد الله بن لهيعة على القضاء بمصر فلم يروا أنى رجلا فزعا أنهما قد رأياه فبعث بهما الأمير موسى بن علي بن رباح إلى أبي لهيعة في نفر من أهل المسجد تعرفوا بالصالح فطلبوا الهلال فكانوا يطلبونه بالجيزة فهو أول القضاة حضر في طلب الهلال ثم تعدوا الجسر في زمن هاشم بن أبي بكر البكري وطلب الهلال في حنان بن أبي حبس ، قال أبو حنيفة ثم كانت القضاة على ذلك حتى كان بن أبي الليث فطلبه في أصل المقطم .

القضاء في أحباس مصر

كان من أحسن ما عمله لهيعة في ولايته أن قضى في أحباس مصر كلها فلم يبق فيها حبسا حتى حكم فيه أما بيينة تثبت عنده أو بإقرار أهل الحبس قال بعضهم ذكرت له يوما وقلت لقد

أحسن القاضي فيما فعل من ذلك فقال لى : يا أبا الحسن كنت أحب ذلك من زمان وسألت الله أن يلغى الحكم فيها فلم أترك شيئاً منها حتى حكمت فيه وحددت الشهادة به .

قاض ينقل من مصر إلى العراق

ليحكم فى قضية

كان الغوث بن سليمان قاضياً بمصر ١٦٧ - ١٦٨ هـ ووقع بين أم المهدي أم موسى يزيد بن منصور بن عبد الله الحميرية وبين أبي جعفر خنوسمة ، فقالت لا أرضي إلا بحكم غوث بن سليمان فحمل إلى العراق حتى حكم بينه وبينها ورجع إلى مصر

قدمت امرأة من الريف وغوث ماض فى محفة فوافقت غوثاً عند السراجين راحاً إلى المسجد فشكت إليه أمرها فنزل عن دابته فى جوانب السراجين وكتب لها بحاجتها وركب إلى

المسجد فانصرفت المرأة وهي تقول أصابت والله أمك حين
أسمتك عوثاً أنت غوث عند اسمك :

هجو قاض لشعره المرجل

كان مسعاد بن خبر شاعراً نخاصم إلى المفضل بن فضالة ،
ولما كان في مجلس القضاء أدخل يده في كفه ليخرج قضيته
فاخرج الهجو إليه فدفعه إليه وهو يقول :

خف الله واسمع من مقال مفضل
فأنك عن فضل القضاء ستسأل
وقد قال أقوام عجبت لقولهم
أقاض له شعر طويل مرجل

فرمى المفضل الرقعة وقال له قم لا حياك الله
كان المفضل أول القضاة طول السجلات ونسخ بها

كتب السخاء والوصايا والديون ولم يكن ذلك قبله .

أول قاض بمصر طلب انتقال واليها إلى مجلسه

قال الكندي قدم محمد بن مسروق الكوفي والياً على القضاء ، وكان أعور فأظهر تجبراً ، وكان ولاية مصر يحضرون القضاة إلى مجالسهم كما يحضر الفقهاء فلما قدم ابن مسروق أرسل إليه الأمير عبد الله بن المسبب يأمره لحضور مجلسه فقال لو كنت تقدمت إليك في هذا لفعلت بك وفعلت يا كذا وكذا فاناقطع ذلك عن القضاة من يومئذ .

لم يكن للقضاة قبله قمطر إنما كان كاتب القاضى يحضر ومعه الكتب في منديل فأول من جعل له القمطر محمد بن مسروق فكان يختتمها فتودع فإذا جلس أحضرت .

أموال اليتامى بيت المال

أول قاض أدخل أموال اليتامى بيت المال خبر بن نعيم في ولايته الثانية بأمر أمير المؤمنين أبي جعفر وسجل في كل منها سجلا بما يدخل فيها وما يخرج ، وقد كان القضاة يودعونها عند الثقات فحصل من ذلك شر عظيم فلما ولي القضاء العمري عمل تابوت القضاة الذي كان في بيت المال أنفق عليه أربعة دنانير قال محمد بن يوسف كانت تجمع أموال اليتامى ومال من لا وارث له ، وكان مودع القضاة بمصر

القاضي بحاصل ماتم

قال ابن بطوطة في رحلته المشهورة عن قاضي أسيوط وقت أن مر بها وهو شرف الدين بن عبدالرحيم ان هذا القاضي يلقب « بحاصل ماتم » لقب شهر به وأصله أن القضاة بديار مصر

والشام كان بأيديهم الصدقات لأبناء السبيل ، فاذا أتى فقير بمدينة من المدن قصد القاضى فيها فيعطيه ما قدر له فكان هذا القاضى إذا أتاه فقير يقول له « حاصل ماتم » أى لم يبق من المال الحاصل شىء فلقب بذلك ولزمه .

أول من نقل دواوين الحكومة

كان أحمد بن محمد بن أبى العوام أول من نقل دواوين الحكومة إلى الجامع ، وكانت قبله تكون عند القاضى ثم تنقل إذا مات أو عزل إلى دار الذى يلى بعده ، فاتخذ ابن أبى العوام مقرها فى بيت المال بالجامع

إننا لسنا من أهل الشهادات

وكل سعيد بن عبد الرحمن الداخل عند ابن بشر القاضى وكيلا يخاصم عنه بشىء اضطر إليه ، وكانت يده وثيقة فيها

شهادات لشهود قد ماتوا ، ولم يكن فيها من الأحياء إلا الأمير
الحكم وشاهد آخر فشهد لسعيد ذلك الشاهد وضربت على وكيله
الآجال في شاهد ثان وجد به الخصام ، فدخل سعيد بالكتاب
على الحكم وأراه شهادته في الوثيقة ، وكان قد كتبها قبل الخلافة
في حياة أبيه وعرفه حاجته إلى أدائها عند قاضيه خوفا من
بطلان حقه .

وكان الحكم يعظم سعيداً عمه ويلتزم مبرته ، فقال له : يا عم
إنا لسنا من أهل الشهادات وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله
ونخشى أن توقفنا مع القاضى موقف مخزاة كنا نفديـه
بملكنا فصره في خصامك حيث صيرك الحق إليه وعلينا رد
ما انتقصك .

فأتى عليه وقال : سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك
في شهادتك وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك وقد لزمك
أن تشهد لي بما علمته ولا تكتمني ما أخذ الله عليك . فقال :

بلى إن ذلك لمن حقت كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخلة فإن
أعفينا منه فهو أحب إلينا وإن اضطررتنا لم يمكننا عقوبتك .

فعزم عليه من لم يشك أن قد ظفر بحاجته ، فأرسل الحكيم
عند ذلك إلى فقيهين من فقهاء زمانه وخط شهادته بيده في قرطاس
وختم عليها بخاتمه ودفعها إلى الفقيهين وقال لهما هذه شهادتي بخطي
فأدياها إلى القاضى .

فأتياه بها إلى مجلسه وقت قعوده للسمع من الشهود فأدياها
إليه فقال لهما لقد سمعت منكما فقوما راشدين فى حفظ الله .

وجاء وكيل سعيد وتقدم إليه مدلا واثقا وقال له : أيها
القاضى قد شهد عندك الأمير أصالحك الله تعالى فما تقول ؟ فأخذ
كتاب الشهادة ونظر إليه ثم قال للوكيل : هذه شهادة لا تعمل
عندى ، فجئنى بشاهد عدل فدهش الوكيل ومضى إلى سعيد الخبر
فاعلمه فركب من فوره إلى الحكيم وقال له : قد ذهب سلطاننا
وأبطل بهاؤنا مجترىء هذا القاضى على رد شهادتك وأخذ يوغر

صدر الأمير على قاضيه ، فقال له الأمير : وهل شككت أنا في هذا يا عم ، القاضي رجل صالح لا تأخذه في الله لومة لائم فعل ما يجب عليه ويلزمه وسد دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله جزاءه فغضب سعيد الخبر ، وقال . هذا حي منك فقال : نعم قد قضيت الذي على لك ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط لنفسه ولا أخون المسامين في قبض يد مثله ، ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك . قال : لمن عاتبه يا عاجز أما تعلم أنه لا بد من الإعذار في الشهادات فمن كان يجتريء على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها ولو لم أعذر لبخست المشهود عليه حقه .

إعتقال القاضي بكار الثقفي

ذكروا عن أحمد بن طولون صاحب مصر أنه كان يبالغ في إكرام قاضيه بكار الثقفي حتى أنه كان يدفع له كل سنة ألف دينار على المقرر له ، فكان بكار يتركها بمختمها ولا يتصرف فيها ، فلما دعاه إلى خلع الموفق بن المتوكل وهو والد المعتضد امتنع بكار ، فاعتقله أحمد ثم طالبه بجملة المبلغ الذي كان يأخذه كل سنة فحمله إليه بمختمه وكان ثمانية عشر كيساً فاستحى أحمد منه وكان يظن أنه أخرجها وأنه يعجز عن القيام بها .

مكث في السجن مدة سنين ، وكان يحدث في السجن من طاق فيه لأن أصحاب الحديث شكوا إلى ابن طولون إنقطاع إسماعيل الحديث من بكار وسألوه أن يأذن له في الحديث ففعل .

أراد أحمد بن طولون أن يستحله

بقي بكار في السجن إلى أن عرضت لأحمد بن طولون علناً التي توفي فيها فوجه إليه يستحله ، فقال للرسول : قل له أنه

شيخ كبير وأنت عليل مدنف والملقى قريب والله الحاجز بيننا ،
وتوفي أحمد بن طولون فعرف بكار بموته قال : مات البائس .

وكان يحاسب نفسه بعد الجلسة

وكان أحد البكائين التاليين لكتاب الله ، وكان إذا فرغ
من مجلسه خلا بنفسه ، وعرض عليه قصص جميع من تقدم إليه
وما حكم به وبكى وكان يخاطب نفسه ويقول يا بكار تقدم إليك
رجلان في كذا وتقدم إليك خصمان في كذا وحكمت بكذا فما
يكون جوابك غداً وكان يكثر الوعظ للخصوم إذا أراد اليمين ،
وكان يحاسب أمناه في كل وقت : ويسأل عن الشهود في كل
وقت ، وبقيت مصر بلا قاض ثلاث سنين .

رد بكار شهادة رجل زاهد

قال أبو حاتم بن أخى بكار قدم على عمى رجل من البصرة
له علم وزهادة ونسك فأكرمه وقربه وأدناه ، وذكر أنه كان معه
في المكتب ومضت له أيام فجاء الرجل في شهادة ومعه شاهد من

شهود مصر فما قبل شهادته ، فقلت لعمى : هذا رجل زاهد
وأنت تعرفه ، فقال : يا ابن أخي ما رددت شهادته إلا أنه كنا
صغاراً وكنا على مائدة عليها أرز وفيها حلوفنقبت الأرز يا صبي
فقال لى : « أخرقتها لتغرق أهلها » فقلت له : أتهزأ بكتاب الله
على الطعام ثم أمسكت عن كلامه مدة وما أقدر على قبول قوله
وأنا أذكر ذلك منه

من نوادر بكار

كان بكار بن قتيبة في غاية العفاف والسلامة واتفق أن
دخل عليه بعض أمناؤه وهو ممزق الثياب ، فقال : بعثنى أحفظ
تركة فلان فصنع بى جاره هذا . فقال : أحضروه ، فأحضره
الأعوان فقال بكار : أنت صنعت هذا بأمينى ؟ قال : نعم فقال :
خذوه ، فأخذوه الأعوان فسقط ميتاً فدهش بكار فقال أمناؤه
القاضى : هذا عمله اليوم مات مرتين فاستوى الرجل جالساً
فقال : كذبوا والله ما مات إلا الساعة ورقد ، فجعل بكار يرش
عليه الماء ويشمه الكافور ويرفق به ويعده إلى أن قام فصرفه
وأقبل على أعوانه فقال : هددتموه فلو وافاه أجله .

قاض يثني على نفسه

هو عبد الرحمن بن مسهر ، كان فاضيا على بليدة بين بغداد وواسط يقال لها المبارك ، فلما بلغه خروج الرشيد ومعه أبو يوسف وأنهما سيران به ، فقال لأهل المبارك : أثنوا على عندهما ، فأبوا عليه ، فلبس ثيابه وتلقاهما ، وقال : نعم القاضى قاضينا ثم مضى إلى موضع آخر وأعاد عليهما هذا القول ، فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف ، وقال : يا يعقوب قاضى فى موضع لا يثني عليه إلا رجل واحد بئس القاضى ، فقال أبو يوسف والمجبب يا أمير المؤمنين : إنه هو القاضى وهو يثني على نفسه ، فضحك الرشيد ، وقال : هذا أظرف الناس ، هذا لا يعزل أبداً .

الطعن في الأحكام للخليفة

وقعت على القضية الآتية بالكندى ويبين منها أنه كان من حق المحكوم عليهم الطعن في الأحكام للخليفة وقد جاء بكتاب تاريخ القضاء في الإسلام بأن الحكم إذا صدر كان له حجة ولا يعترض على ذلك بما قاله عمر في كتابه لأبي موسى الأشعري ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم راجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فإن الحق قديم لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل ، إذ معنى كلام عمر هذا أنه إذا ظهر للقاضى وجه آخر غير ما قضى به فإنه يعمل به مستقبلاً ولا يصر على الأول لأنه هو قد فعل ذلك ، فقد روى أنه قضى فى حادثة بقضاء ثم قضى فى مثلها بقضاء آخر فسئل فقال : تلك كما قضينا وهذه كما تقضى ، وروى عنه أيضاً أنه لقي رجلاً فقال له : ما صنعت قال : قضى على وزيد بكذا : قال عمر : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، فقال له الرجل : وما يمنعك والأمر إليك ، قال : لو كنت أردك إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لفعلت ولكن أردك إلى رأى والرأى مشترك فلم ينقض ما قال على وزيد

أما القضية على ما رواها الكندي فتحصل في أنه حكم في دار الفيل سنة ٢٤٠ هـ وهي دار على عثمان مولى مسامة بن مخلد الأنصاري جماعة من قضاة مصر منهم توبه والمفضل والعمري وهارون وحكم هارون ابن عبد الله فيها باخراج بنى البنات من العقب ، فلما ولي الحارث بن مسكين فسخ حكم هارون ورفع يد بنى السائح منها فخرج إسحاق بن ابراهيم بن السائح إلى المتوكل يرفع على الحارث بن مسكين ويتظلم منه وأحضر قضيته إلى العراق وأمر المتوكل بإحضار الفقهاء فنظروا في قضيته وخطووه فيها وتناولوه بالسنتهم وكان الفقهاء الذين حضروا في قضيته من الكوفيين وإنما حكم الحارث على مذهب المدنيين وبلغ الحارث ما جرى هناك من ذكره فكتب يسأل أن يعفى من القضاء فكتب إليه ابن عبد الواحد الهاشمي أنهيت إلى أمير المؤمنين أن كتابك وصل باستعفائك مما تقلدته من أمر القضاء بمصر وأمر أيده الله بإجابتك إلى ذلك وأعفاك مما تقلدت أسعافك بما سألت وتفضلا لما أدي إلى موافقتك فيه فرأيتك ابقاك الله في معرفة ذلك

والعمل بحسبه وكان قد ورد الكتاب بذلك على الحارث في ربيع
الآخر سنة ٢٤٥ هـ ثم ورد كتاب المتوكل على بكار بن قتيبة يأمره
بالنظر في ظلامة ابن السائح وأن يرد إلى يده ما كان الحارث
أخرجه عنها .

وقيل أن بكاراً استعظم فسخ حكم الحارث فيها إذ كان
الحارث إنما حكم فيها على مذهب أصحابه المدنيين ولم يزل يونس
ابن عبد الأعلى يكلم بكاراً ويجسره حتى حكم فيها ورد إلى ابن
السائح ما كان بيده فيها .

ويؤخذ من تردد بكار بالحكم بما رأى الخليفة أن رأيه لم
يكن ملزماً للقاضي الذي يحكم في القضية مرة ثانية .

يحيى بن أكرم

هو قاضى قضاة المأمون ينتهى نسبه إلى أكرم بن صيفى
حكيم العرب وخطيبها ولى القضاء صغيراً فى شذرات الذهب
أنه ولى القضاء وسنه ثمانى عشرة سنة فقال أهل البصرة كم سن
القاضى فعلم أنه استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى
وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة قاضياً ومن معاذ الذى بعثه
النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن .

بلغ عند المأمون منزلة رفيعة كما يظهر من الرواية الآتية ،
قال ثمامة كان يحيى بن أكرم يمشى المأمون يوماً فى بستان
موسى والشمس عن يسار يحيى والمأمون فى الظل وقد وضع يده
على عاتق يحيى وهما يتعادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كر راجعاً
فى الطريق التى بدأ فيها ، فقال ليحيى كانت الشمس عليك لأنك
كنت عن يسارى وقد نالت منك فكن الآن حيث كنت
وأنحول أنا إلى حيث كنت ، فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين

لو أمكنتني أن أفيك هول المطلاع بنفسى لفعلت ، فقال المأمون :
لا والله لا بد من أن تأخذ الشمس منى مثل ما أخذت منك وتحول
يحيى وأخذ من الظل مثل الذى أخذ منه المأمون ، وقال المأمون :
أول العدل أن يعدل الرجل على بطائنه ثم على الذين يلونهم حتى
يبلغ العدل الطبقة السفلى ، ويدل على عظيم قدره أيضاً البيتين
الآتين لابن المعدل :

تكلفنى إذلال نفسى لعزها وهان عليها أن أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن أكرم فقلت سليه رب يحيى بن أكرما
من نوادره

وقف العتابي بباب المأمون يلتمس الوصول إليه فصادف
يحيى بن أكرم جالسا ينتظر الإذن فقال له : إن رأيت أعزك الله
أن تذكر أمرى لأمير المؤمنين إذا دخلت فافعل ، قال : لست
أعزك الله بحاجبه ، قال : فإن لم تكن حاجبا فقد يفعل مثلك
ما سألت وأعلم ان الله عز وجل جعل فى كل شىء زكاة وجعل
زكاة المال رفق المستمين وزكاة الجاه إغاثة الملهوف واعلم ان الله

عز وجل مقبل عليك بالزيادة إن شكرت أو التغير إن كفرت
وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك ، لأنني أدعوك إلى ازدياد
نعمتك وأنت تأبى ، فقال له يحيى : أفعل وكرامة وخرج الإذن
ليحيى فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن المأمون
للعتابى فأذن له

دخوله على المأمون مع إسحاق الموصلى

سأل إسحاق الموصلى المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل
العلم والأدب والرواة لا مع المغنين فإذا أَراده للغناء غناه فأجابه
إلى ذلك ثم سأله بعد حين أن يأذن له فى الدخول مع الفقهاء
فأذن له ، قال فحدثنى محمد بن الحارث أنه كان هو ومخازق وعلوبه
جلوساً فى حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروج الناس
من عنده إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سواده وطويلته ويده
فى يد إسحاق بماشييه حتى جلس معه بين يدي المأمون فكاد علوبة
أن يجن وقال يا قوم أسمعتم أعجب من هذا يدخل قاضى القضاة

ويده في يد مفن حتى يجلسا بين يدي الخليفة ثم مضت على ذلك مده .

هذا والسواد شعار بني العباس أما القلنسوة فكان يلبسها القضاة وكانت عالية مُدعمة بعيدان .

قال ابن خلدون في مقدمته إن من إغلاط المؤرخين ما ينقلونه عن يحيى بن أكرم قاضي المأمون وصاحبه وأنه كان يعاقر المأمون في الخمر وأنه سكر ليلة على شربة فدفن في الريحان حتى أفاق وينشدون على لسانه :

يا سيدي وأمير الناس كلهم
قد حار في حكمه من كان يسقيني

إني غفلت عن الساقى فصيرني
كما تراني سليب العقل والدين

سبب عزله

غضب المأمون على يحيى غضبة اختلف المؤرخون في سببها فيقل ان المأمون تواتر إليه النقل عن سوء أخلاق القاضي يحيى

ومحبته إلى الغلمان فأحب أن يقف على ذلك بنفسه فدرس إليه أحد
الغلمان فبدر من القاضى ما لا يستحسن فعزله المأمون ، وروى
صاحب الأغاني الحكاية الآتية :

نظر المأمون إلى يحيى بن أكنم يلحظ خادماً له فقال :
للخادم تعرض له إذا قت فأتى سائراً قوم للوضوء وأمره أن لا يبرح
وعد إلى بما يقول لك .

وقام المأمون وأمر يحيى بالجلوس ، فلما قام غمزه الخادم
بعينه ، فقال يحيى : لولا أنتم لكنا مؤمنين ، فقال له : عد إليه
فقل له : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم
مجرمين . فخرج الخادم إليه فقال له : ما أمره به المأمون فأطرق
يحيى وكاد يموت جزماً ، وخرج المأمون وهو يقول :

قم فانصرف واتفق الله وأصلح نيتك

على أنه مما يجب ملاحظته أن كتاب الأغاني كثيراً
ما اشتمل على الأخبار الموضوعة ، وليس أدل على أن هذا الذى

ذكره عن القاضي يحيى إنما كان من التحرضات التى بزجها شامتوه
حسداً وحقدأ عليه من الحادثة الآتية كما وردت بالأغاني نفسه
كانت مقيم خادمة لبعض وجوه أهل البصرة تعلقها
عبد الصمد بن المعدل وكانت لا تخرج إلا متنقبة فخرج عبد الصمد
يوماً للنزهة وقدمت مقيم إلى ابن عبد الله بن الحسن الحر القاضي
واحتاج إلى أن يشهد عليها فأمرها بأن تسفر فلما قدم عبد الصمد
قيل له لو رأيت مقيم وقد أسفرها القاضي لرأيت شيئاً حسناً لم
تر مثله فقال عبد الصمد قوله :

ولما سرت عنها القناع مقيم	تروح منها العنبرى متيماً
رأى ابن عبيد الله وهو يحكم	عليها لها طرفاً عليه محكما
وكان قديماً كالح الوجه عابساً	فلما رأى منها السفور تبسماً
فإن تصب قلب العنبرى فضلة	صبا باليتامى قلب يحيى بن أكرمما
فبلغ قوله يحيى فكتب إليه عليك لعنة الله أى شئ أردت	
منى أتانى شعرك من البصرة ، فقال لرسوله : قل له مقيم أقعدتك	

على طريق القافية ، فإذا كان مجرد سياق الوزن والقافية قد اقتضيا التشهير بهذا القاضى الجليل فهل يمكن أن يكون لما جاء عنه بالأغاني أى قيمة والصحيح ما جاء عنه فى ابن عابدين .

رئيس محكمة المناوئين لمذهب المعتزلة

هو أحمد بن أبي دؤاد قاض من المعتزلة أصله من البصرة وكانت له حظوة كبيرة عند المأمون لعلمه ومواهبه وسرعان ما أصبح من أصدقاء هذا الخليفة حتى نصح أخاه وخلفه المعتصم أن يقربه وأن يسمع لمشورته .

وكان ابن أبي دؤاد من الأنصار المتحمسين لمذهب المعتزلة ولهذا أقامه المعتصم بعد استخلافه عام ٢١٨ هـ ٨٣٣ م قاضياً للقضاة وكان مذهب المعتزلة قد عظم شأنه وأصبح في عهد المأمون المذهب الرسمي للدولة كما أنشئت محكمة رسمية ذات صبغة دينية تبحث عن المناوئين لأراء هذا المذهب وترأس أحمد مناقشات هذه المحكمة بصفته قاضياً لقضاة بغداد ولكنه أظهر

مع ذلك تسامحاً ورحمة يندر وجودها في ذلك الحين ولقد كان نفوذ هذا القاضي على المأمون عظيماً كما كان مقرباً من الخليفة الوثائق فلما مات هذا الخليفة رغب بعض رجال الدولة وقوادها في مبايعة ولده الأصغر ولكنهم استخافوا — عملاً بنصيحة وصيف قائد الجند التركي — جعفر أخا الوثائق وأعطاه أحمد لقب المتوكل ومع ذلك فإن المتوكل لما بدأ يقف موقف العداء من تعاليم المعتزلة ويتجه شيئاً فشيئاً لأهل السنة لم يستطع القاضي الواسع النفوذ بل وزعيم المعتزلة أن يحافظ على منصبه الخطير أمداً طويلاً فبعد استخلاف المتوكل بمدة من الزمن أصابه الفالج فأُسند القضاء إلى ولده .

كيف كان وكيف انتهى

وقد غضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وآله وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين صادر منهم ستة عشر ألف ألف درهم كما جاء بشذرات الذهب .

وجاء بنفس المرجع أنه كان فصيحاً مفوهاً شاعراً جواداً

وهو الذي شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، قال وله
عطايا جزيلة وشفاعة إلى الخلفاء مقبولة وفيه يقول الشاعر :
قد آنست مساوى كل دهر محاسن أحمد ابن أبي دؤاد
ولم يكن أحمد بن أبي دؤاد مقتصراً على القضاء بل كان
يشير على المعتصم في كثير من أمور الدولة وكان لا يقطع في أمر
خطير من دونه .

سأل أحمد ابن أبي دؤاد يوماً المعتصم إطلاق ألف دينار
ليحفر بها نهر آفي أقاصى خراسان ، قال له المعتصم وما على من
هذا النهر ، فقال ؛ يا أمير المؤمنين أن الله يسألك عن النظر في أمر
أقصى رعيته كما يسألك عن النظر في أمر ادناه ولم يزل به
حتى أطلقها .

ما كان يقوله عنه أهل زمانه

قال أحد الأدباء الحسين بن الضحاك لبعض المتكلمين إن
ابن أبي دؤاد عندنا لا يعرف اللغة وعندكم لا يحسن الكلام
وعند الفقهاء لا يحسن الفقه وعند المعتصم يحسن هذا كله .

أحمد بن خلكان

صاحب كتاب وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ؛ قال
في مقدمته مشيراً إلى ترتيب الكتاب وفق الحروف الأبجدية
لا إلى السنين .

هذا مختصر في علم التاريخ دعاني إلى جمعه أنى كنت مواعداً
بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم
وموالدهم ومن جمع منهم كل عصر فوق لي منه شيء حملني على
الاستزادة وكثرة التبع فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة
بهذا الفن وأخذت من أفواه الأئمة المتفنين له ما لم أجده
في كتاب ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي منه مسودات
كثيرة في سنين عديدة وعلق على خاطري بعضه فصرت إذا
احتجت إلى معاودة شيء منه لا أصل إليه إلا بعد التعب في
استخراجه لكونه غير مرتب فاضطرت إلى ترتيبه فرأيت على
حروف المعجم أيسر منه على السنين فعدلت إليه والتزمت فيه
تقديم من كان أول اسمه الهمزة ثم - ليكون أسهل للتناول وإن

كان هذا يقضى إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصر
وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين لكن هذه المصلحة
أحوجت إليه -

وذكرت محاسن كل شخص وما يليق به من مكرمة
أو نادرة أو شعراً أو رسالة ليتفكه به متأملاً ولا يراه مقصوراً على
أسلوب واحد فيمله والدواعى إنما تنبعت لتصفح الكتاب
إذا كان مفئنا .

مثل لمن يذكر عنده أحداً بغيه

حكى أنه جاء إنسان فحدثه في إذنه أن عذلين - مثنى عدل
وهو العادل المرضى والمقنع في الشهادة - في مكان يشربان الخمر
فقام من مجلسه ودعى برجل وقال اذهب إلى مكان وأمر من فيه
بإصلاح أمرها وإزالة ما عندها ثم عاد فجلس مكانه إلى علم أن
تقيبه - النقيب شاهد القوم وضمينهم وعريفهم - قد حضر
فدعا بذلك الرجل وقال أنا أبعت معك النقيب فإن كنت صادقاً
ضربتكما الحد وإن كنت كاذباً أشهرتك وقطعت لسانك وجهز

النقيب معه فلم يجد غير صاحب البيت وليس عنده شيء من ذلك
فاحضر الدرة وهدده فشفع النقيب فيه فقبل شفاعته منه ثم
أحضر مصحفًا وحلفه ألا يعود .

في كتاب شذرات الذهب ، قال الشيخ تاج الدين الغزاوي
في تاريخه كان ابن خلكان قد جمع حسن الصورة وفصاحة
المنطق وغزارة الفضل وثبات الجانب ونزاهة النفس ، وقال
الذهبي : كان إمامًا فاضلاً متقناً عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى
جيد القريحة بصير بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس
كثير الاطلاع حلوا المذاكرة وافر الحرمة من روات الناس
كرماً جواداً ممدحاً .

ما شنع به عليه

شنع عليه بعض المؤرخين كابن كثير وغيره من جهة
اختصاره تراجم العلماء وتطويله في تراجم الشعراء والأدباء
ولعل المذرعنه ما أشار إليه في المقدمة من أن الناس قد تملأ إذا كان

مقصوراً على أسلوب واحد والدواعى إنما تبعث لتصفح الكتاب
إذا كان مفئنا .

قيل أنه أغرم بحب الملك المسعود بن المظفر صاحب حماة
وقد وقفت على الروايتين الآتين فى العدد الأول من موسوعته
التي أعاد طبعها الدكتور أحمد فريد رفاعى ، وتولت وزارة
المعارف مراجعتها النهائية وقد ذكر الروايتين الآتين بعض من
ترجموا له أما الرواية الأولى فهي :

قال القاضى جمال الدين عبد القادر التبريزى كان الذى يهواه
القاضى شمس الدين بن خلكان الملك المسعود بن المظفر صاحب
حماة وكان قد تيممه حبه وكنت أنا عنده فى العادلية فتحدثنا فى
بعض الليالى إلى ان راح الناس من عنده ، فقال : نم أنت ههنا
والتي على فروة نخرج وقام يدور حول البركة فى بيت العادلية
ويكرر هذين البيتين إلى أن أصبح وتوضأنا وصلينا والبيتان
المذكوران :

أنا والله هالك آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى

أما الرواية الثانية فهى :

واختلف الناس فى أخلاق ابن خلكان وهو يعلم ما يقول
الناس فيه سأل بعض أصحابه يوماً عما يقوله أهل دمشق فيه
فاستغفاه فألح عليه فقال : يقولون أنك تكذب فى نسبتك
وتأكل الحشيش وتحب الصبيان . فقال : أما النسب والكذب
فيه فإذا كان لا بد منه كنت أتنسب إلى العباس أو إلى على بن
أبى طالب أو إلى واحد من الصحابة ، وأما النسب إلى قوم
لم يبق لهم ذكر وأصلهم قوم مجوس فما فائدة ذلك كله
— وكان ينسب إلى البرامكة — وأما الحشيشة فالكل ارتكاب
محرم ، وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لأنه ألد ، وأما صحبة
العلماء فإنى غداً أحببتك عن هذه المسألة ، ولكن لم ينقل
ما أجاب به .

واختلف في ضبط لفظ خل كان ، وقيل : أنه من فعلين
خل أمر من خلا : أي اترك ، وكان ناقصه ، وسبب تسميته
بذلك انه كان كثيراً يقول : كان والدي كذا والدي كذا ،
فقيل له : خل كان ، وبعضهم ينطقه بسكون اللام والباقي
على حاله ، وقيل : ان خل كان اسم لبعض أجداده .

رسالة عن حال القضاء والأنظمة المتبعة وقت

إغارة الفرنسيين على مصر

أثناء بحثي في دار الكتب المصرية عثرت على رسالة مخطوطة كتبها الشيخ العريشي قاضي العسكر بمصر زمن إغارة الفرنسيين عليها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وطبعها جواباً على أسئلة الحاكم الفرنسي وقتئذ وقد رأيت نقلاً لطرافتها التاريخية ولما اشتملت عليه من معلومات .

السؤال الأول : عدد البنادر التي يقيم بها القضاة محل الشرع والمحاكم بكامل الأقاليم . الجواب : المناصب المصرية ستة وثلاثون منصباً ، ستأتيك مفصلاً كل ذلك محل شرع بكامل الأقاليم . السؤال الثاني : عدد البنادر الكبار وما يتعلق بها من النواحي لهذا المقصد بتعيين المحل المختص بإقامتهم ، ثم وتاريخ وقت لبسهم على هذه الوظيفة مع صفات وكيفية لبسهم ، ثم إن كان جميع هؤلاء لبسوا من اسلا مبول أو أنهم كذا أو منهم خلافه

وإن كان فيهم من كان قد حضر من هناك وفي إنتهاء سنته تقررها
هنا أم فيهم من ليس من قاضى مصر .

الجواب على ذلك : البنادر الكبار من المناصب المصرية ،
أولها : مصر المحروسة وتابعيتها .

بولاق ، ومصر القديمة ، ثم ثغر الإسكندرية ، ثم ثغر رشيد
ثم ثغر دمياط ، ثم المنصورة ، ثم المحلة الكبرى ، ثم منف العليا ،
ثم ماسوى مصر المحروسة يسمى باصطلاح القضاة رتبة ستة
فهذه هى المناصب الكبرى ، وتحتها أدون منها الجيزة ، ودمهور
وبنى سويف ، وبلبيس الشرقية ، والفيوم ، وإيبار وتسمى فى
اصطلاح القضاة رتبة موصلة ، وتحتها أدون منها وهى الرتبة
الثالثة ، أولها : الخانقاه وتسميها العامة الخانكة ، ومنية ابن خصيم
ومنفلوط ، وجرجاه ، وزفته ، والمنزلة . ورتبة رابعة وهى :
أسيوط ، وتذمنت ، وشلشليون ، والبهنسا ، وسنديون ، والنحارية
وبعدها رتبة خامسة وهى : سنهوا والجامع اشمونين ، والفشن ،
ومحلة أبا على الغربية ، ومحلة مرحوم ، وفوه ، وأنزل من الكل

رتبة سادسة ، ويقال لها باصطلاح القضاة رتبة دخول أولى لأن القضاة لا يتوصلون إلى ما فوقها إلا بعد الدخول فيها فهي بمنزلة الباب إلى مناصب القضاء ويسنكون في ذلك سبل الترقى من الأعلى إلى الأدنى ، أولها : طحطا ، والمنشية ، وقناقوص ، وأبو تيج ، والواح ، والبرلس ، وتقدم مصر المحروسة كماله الستة والثلاثين منصب بالأقاليم اليوسفية وبعض هذه المناصب عاطل وإنما هي رسم قديم فهذه المواضع محل إقامة القضاة قديماً ؛ وأما النواحي المتعلقة بكل منصب فكثيرة لكل منصب نواحي معلومة مقيدة بسجلات عندهم وإقامة القضاة في هذه المناصب المذكورة أعلاه ، وأما تاريخ وقت لبسهم وتقريرهم في هذه المناصب ليست موقفة بوقت .

وأما صفات وكيفية لبسهم هما كنايةتان عن إذن كبير القضاة لهم بسماع الدعوى وفصل الخصومات وكتابة الوقائع الشرعية وقيدتها في التسجيلات المحفوظة ويكون المأذون نائباً عن موليه وأما صفات القضاة فهم ناس فقراء أصحاب عيال مستحقون لهذه الخدمة الشريفة فيأخذونهم لفضلة العلم والعقل وراحة الناس

وأما من كان مقلداً من اسلامبول قبل حضور الجمهور الفرنسية بأوراق وسندات تأتي إليهم من اسلامبول فهم خمسة أنصار - ذكر أسمائهم - وأما باقى المناصب قررنا فيها من كان أهلاً لها من أولاد العرب المصريين المستحقون لذلك . السؤال الثالث : من كان من القضاة قبل حضور الجمهور الفرنسية وأين كان مقوماً وهل كان من أهالى إقليم مصر أم غريباً من تلك النواحي وكم رجل هم كل قاضى إقليم والكتابة وعدد نوابه الموجهة منه بالنواحي المتعلقة بالأقليم وإن أمكن لديكم ولو وجه تخمينى وعدد من يقال بقول العلم عنهم ويعدون من أهل الشريعة وأئمة الهدى فهم مصرفون بالعمل بإذن من القاضى .

الجواب عن ذلك : أما قاضى مصر المحروسه حين دخول الجمهور الفرنسية إلى مصر المحروسه السيد محمد فتحى شمعجى زاده ، ونائبه طاهر أفندى وولده طالب ومحمد أفندى زكى وبقية أتباعه لا نعرفهم ، وأما باقى القضاة فى الأقاليم والكتابة المنوط بهم وعدد وكلائه ونوابه الموجهة من أهل العلم إلى آخر السؤال فلا

نحيط بكمهم علماً فمن تولى من طرفنا نعلمه ومن كان بعيداً عنه لا نعلمه وأن تصفحنا عنهم فيحتاج الحال إلى سفر بعيد ووقت واسع حتى تقيده وتبينه .

السؤال الرابع : تعيينوا لنا المحلات الخالية الآن من القضاة في الأقاليم المصرية . الجواب عن ذلك : ليس فيها خالي سوى المعطل منها مثل : السريس ، والمنزلة ، والنحاريه ، والبهنسا ودلجا وطحطا ، وأبو تيج ، وقنا ، وقوص ، والواح ، وتعطيلها بحسب علمنا . وأما في الواقع بتباعد البلاد عنا فلا نعلم . أما المحلات الباقية ليست خالية من القضاة . فكل قاض منهم له نواب هكذا قاعدة مصر من قديم الزمان

السؤال الخامس : أسماء قضاة البنادر بعد درجالهم ومعاونيهم ومن هناك من أصحاب علم وهم أئمة شريعة .

الجواب عن ذلك قاضي اسكندرية - ذكر أسماء القضاة - ورشيد ، ودمياط ، والمنصورة ، والمحلة الكبرى ، ومنف العليا ، ذفته ، ثنود ،

أبا على دمنهور ، شلشلمون ، بلبيس ، بنى سويف ، منية ابن خصيم
منفلوط ، أسيوط ، جرجا - وذكر أسمائهم وكل بندر من البنادر
الكبار معين من طرفنا وقد سميناه لكم وأما عدد رجالهم ومعاونيهم
فهذا أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وأمره يسهل عليكم دوننا

السؤال السادس : تعينوا لنا ما بمصر المحروسة خاصة
من المحاكم وبمصر القديمة ، وبولاق بأسمائهم وصفاتهم وحال
لبسهم ، الجواب عدد المحاكم بمصر المحروسة اثني عشر منها المحلة
الكبرى وهي معلومة لكم وهي خاصة بكل قاض عظيم القدر
يأتى من اسلامبول من الترك ، والثانية منها محكمة جامع الزاهد بخط
باب الشعرية ، والثالث محكمة باب الشعرية والرابع محكمة جامع
الحاكم ، والخامس : محكمة الصالحية بخط النحاسين والسادس
محكمة باب زويلة ، والسابع محكمة باب الخرق ، والثامنة محكمة
قوصيون ، والتاسع محكمة طولون والعاشر محكمة قناطر السباع
والحادى عشر محكمة مصر القديمة ، والثانى عشر محكمة بولاق
المحروسة ، وقضاة مصر من أهلها ما عدا قاضى محكمة المحلة الكبرى

وكل محكمة فيها كاتب أو اثنين أو ثلاثة ، ولا زيادة على ذلك
— لاستغناءات الناس بمحكمة المحلة الكبرى — وتوليهم من كل قاض
يأتى إلى مصر ، وأما لبسهم منه وهو كناية عن إذنه لهم بسماع
الدعوى فهم فى الحقيقة نوابه ، وأما أسماؤهم — ذكر أسماءهم —
والله سبحانه وتعالى يلهمنا وإياكم الصواب .

تقرير للآستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

عن المحاكم الشرعية

هذا التقرير كتبته في سنة ١٨٩٩ ، وإن كان قد تحدث فيه عن المحاكم الشرعية إلا أنه مس أيضاً قضاة المحاكم الأهلية والمختلطة وقد جاء به : -

قبل أن أقول كلمة فيما عليه الأغلب من هؤلاء القضاة أقول ليست المحاكم الشرعية وحدها هي التي ابتليت بضم الضعفاء وغير الأكفاء في جوانبها فكثير من القضاة في المحاكم الأهلية لا يزيدون في معارفهم عن كثر الكلام عنهم من قضاة المحاكم الشرعية وما يتحدث به من الأحكام المخالفة للشرعية عن هذه المحاكم يتحدث به مخالفاً للقانون والعقل صادراً من أعظم محكمة أهلية أو مختلطة وقد رأينا ذلك وشاهدناه والحكومة تعرف كثيراً منه والكمال غاية يسار إليها وإكن يحول دون الوصول إليها ضعف الإنسان وعجزه .

وجدت كثيراً من قضاة المحاكم الشرعية خصوصاً
في المراكن لا تسرمعارفهم الشرعية والنظامية ولا يرضى العدل
سيرهم في أعمالهم ، ولذلك وجدت الحاذق منهم يحول جميع القضايا
إلى محضر صلح تجنباً للحكم ولا يلبث المتصالحان لديه أن يختلفا
لأن الصلح غير حقيقى ، ووجدت فيما يوجد من الأحكام خطأ
كثيراً وفي الأكثر يعولون في تطبيق اللوائح على السكتة
ومنزلاتهم من العلم ما وصفنا في الباب السابق والعمل جار على أن
يعين أحد المشايخ وقد كان على بعد تام من العالم وشئونهم أيام
إقامته في الجامع الأزهر أو المدينة ولا يعرف من القضاء إلا
ما قرأه في كتب الفقه ولم يشهد مجلساً من مجالسه ولم يعرف شيئاً
من نظامه الشرعى المعمول به في بلده ولا يمكنه تحرير رقيم
حسن الأسلوب مفهوم المضمون في أدنى شئونه وربما لا يعرف
أرقام الأعداد الحسابية ثم يفوض إليه الحكم وهو على هذه الحالة
فيلتجئ إلى الكتاب الذى يجده في المحكمة فإن كان ذكياً
أمكنه ان يتعلم في سنه أو ما يزيد عليها ، وإن كان دون ذلك بقى

تلميذاً للكاتب إلى ما شاء الله ، فمن كانت بدايته أن يكون
تلميذاً للكاتب فكيف تكون نهايته ، وإني لا أنكر أن بعض
القضاة صار من التمرن من أحسن رجال القضاء ولكن لا يصلح
أن تكون الأحاذقواعد يبنى عليها العمل لمن يريد إحكامه .
وقد شاهدت يا حدى الجلسات كاتباً يقطع على القاضى
الكلام فى سؤال الشاهد ويسأله بنفسه مرات متكررة ورأيت
من سلطة الكاتب فى هذه الحالة ما لا يحتمله إلا هؤلاء القضاة
وأمثالهم على أن هذا جميعه مما لا يليق بحرمة القضاء الإسلامى
الذى كان يعد مجلسه أوقر المجالس وأعظمها هيبة فى النفوس
حيث كان يجلس الخليفة فمن دونه بين يدى قاضيه ولو أن
نفوس القضاة استشعرت حقاً واحداً من حقوق دينهم ما نزلوا
به إلى هذه الدرجة التى وصل إليها بهم .

أين هذا مما بلغه رجال القضاء الشرعى اليوم ، ولقد فقهوا
علوم الشريعة وعمقوا النصوص فى الأصول وثقفوا القوانين
الحديثة إلى فطنة وذكاء وعزة وإباء .

طرائف للجديثين من رجال القضاء

منطق بعض الخفراء

خاف من سعادتك ياباشا

كنت وكيلاً لنيابة كفر الزيات فأخطرت بجنابة قتل
ياحدى القرى فانتقلت وظهر من التحقيق ان المجنى عليه كان شيخاً
من هؤلاء الذين تشيع عنهم الكرامات فيعتقدهم الناس ويفزعون
إليهم كلما تعقد لهم شأن فهم يتألفون الحبيب النافر ويشبون
الزوج الغادر وعلى الجملة يميزون على قضاء اللبانات وبلوغ الغايات
ولهم سميت معروف إذا رأيتهم حسبتهم يهيمون فى عوالم أخرى
تمتمة متواصلة وهممة لا تنقطع إلى سبحة طالت حبائلها وذقن
أرخت سبائلها إلا أن التحقيق أسفر عن أن سبب القتل يرجع
إلى بعض ما كان من الشيخ فى خلواته مع زائراته وكنت
أجرى التحقيق بالمرء تحت شجرة ، وكان حاضراً بعض رجال
الإدارة وعلى رأسهم وكيل المديرية وبينما كنت أسمع أقوال
الشهود إذا بى أرى نعش المجنى عليه قد حمله المشيعون إلى المقبرة
إلا أنى رأيت عجباً إذ كلما تقدم بالنعش حاملوه قليلاً ارتدوا به

إلى الوراء على الرغم مما كانوا يبدونه من جهد ظاهر للسير
بالنعش دون ارتداد لم يخرج الشيخ في هذا الذي حدث منه عن
سنن أسلافه من ذوى الكرامات ، إذ من آياتهم بعد المات أن
النعش لا يسير أو على الأقل لا يمكن حمله من السير قدماً بل
إنه يحملهم راغمين على التقدم والارتداد وما أن تظهر هذه
الكرامة حتى تنطلق الولولة والزغاريد من المشيعين مما تعذر
معه على الاستمرار في التحقيق عندئذ رأى وكيل المديرية
حفاظاً للأمن الذى انتهك بارتكاب القتل وإفلات القاتل أن
يحفظه — على الأقل — من شغب جثة القتيل فأمر فنحى حاملوا
النعش من الأهالى ووكل إلى شيخ الخفراء والخفراء حمل النعش
أيقنت آنئذ ان النعش لن يشغب بعد ذلك ، ولكن راعى أنه
لم يحفل بالخفراء وشيوخهم ومضى فيما كان عليه من تقدم وتأخر
وعاد المشيعون إلى شغبهم، هنا بدا لى وكيل المديرية مغيظاً محققاً
كيف يعيا هو وهؤلاء الأحراس الأيقاظ الفلاظ عن حفظ
الأمن من شغب الجثة فأمر فنحى شيخ الخفراء والخفراء ودعا

بالمسكر فحملوا النعش وتطلعت فإذا النعش يسير بالميت إلى
الأمام دون تقهقر وانقطع الظياط إذ سار المسكر به يغذون السير
إلى قابره رأى وكيل المديرية بعد ذلك أن يوقع الجزاء على
شيخ الخفراء فنأدى به وقال له أ رأيت كيف سار النعش قدماً
لما أن حمله المسكر ولكزة لكزه قوية ، فرد شيخ الخفراء
بعد أن أدى التعظيم خاف — أى الميت — من سعادتك
يا باشا .

جثة مكان جثة

الحادثة قتل المركز أبو تيج

أبلغ وكيل النيابة بالحادثة فانتقل إلى حيث ارتكبت
لأجراء المعاينة وبعد أن وصف المكان والأبعاد والجثة وما بها
من جراح واتجاه دخول المقذوف النارى وخروجه والملابس
وما بها من آثار احتراق — إن كان — من أثر دخول المقذوف
انتقل إلى مكان ملائم لمباشرة التحقيق ولما لم يكن الطبيب
الشرعى قد حضر بعد ليجرى الصفة التشريحية فقد وكل وكيل

النيابة إلى خفير حراسة الجثة وكان أهل المجنى عليه لا يرون في
تشریح الجثة إجراء عسيا أن يؤدي إلى معرفة الجاني وعلى العكس
يرون في أعمال الطبيب مبضعه في الجثة تمزيقاً تمثيلاً بها وإزراء
فأقاموا رصداً على الخفير يتربصون منه الغفلات للاستيلاء على
الجثة وما أن تركها الخفير ومضى ليقتضى بعض شأنه حتى انقضو
على الجثة وولوا بها مدبرين ، ولما أن فرغ الخفير من قضاء حاجته
وعاد لم يجدها فلم يتردد في نفسه خالجة من شك في أن أهل القتل
هم الذين سرقوا الجثة إلا أنه كان يعلم ما هم عليه من قوة وبأس
فإن هو حاول أن يستردها منهم فإنهم ولا شك سيسطون به
وسيعود خائباً وإن هو اكتفى بإبلاغ النيابة بسرقة الجثة حق عليه
عقاب غليظ لا شك واقع فانسرح يفكر وأخيراً حط به تفكيره
على رأى اطمأنت إليه نفسه وسكن إليه وجدانه وسرعان ما قام
بتنفيذه وكان الناس يقلون في الظهيرة وقد خلت الطرقات من
المارة إلا من رجل ساقته المصادفة أن يمر وقتئذ بطريق قريب
من مكان الجثة وما أن رآه الخفير حتى أقمى وسدد فوهة البندقية

نحوه ثم أطلقها فخر الرجل قليلا وما عثم الخفير أن تقل جثته ووضعها مكان الجثة المسروقة ، وجثة مكان جثة ولا من رأى ولا من سمع .

حضر بعد ذلك الطبيب الشرعى ومعه العمدة ، وما أن وقع بصر الأخير على الجثة حتى حدد بصره فيها ساهاها واجماً مما رأى ، إذ استيقن أن الجثة لشخص آخر بالبلد ، كيف قتل ؟ وكيف جيء بجثته ولم لم يحجر تبليغ عن قتله ؟ انحطت الشبهات بطبيعة الحال على الخفير ، وأبلغ وكيل النيابة بهذه الجناية الجديدة تتوالد من باطن الجناية الأصلية التى أقفل فيها محضره ، ثم انتقل لمعاينة الجثة الجديدة ، وكان الطبيب الشرعى حاضراً فأجرى الصفة التشريحية على التو وإذا لم يكن الطبيب حاضراً ووكلت حراسة الجثة إلى خفير آخر ربما استمرت عملية الاستيلاء والتناسل فى الجنائيات .

أنكر الخفير انه هو الذى قتل المجنى عليه الثانى ولكن لما أن رأى نفسه محصوراً بأسئلة المحقق تطامنت أعصابه

فروى الحادثة كما حدثت واعترف أنه هو القاتل حتى ينقل الجثة
مكان الجثة المسروقة

روى لى وكيل النيابة المحقق أنه حضر نظر القضية أمام
قاضى الإحالة الذى أحال المتهم إلى محكمة الجنايات مقبوضا عليه
ولكنه لا يعلم ما حكمت عليه به لأنه نقل قبل ذلك .

علمت بعد ذلك أن الحكم لم يكن أقل - ولا أكثر - من
الأعدام شنقا .

لقد نام صاحب البيت نفسه

الحادثة سطو والمركز سوهاج

كنت وكيلًا لنيابة سوهاج ، وانتقلت للتحقيق ولما أن
سألت خفير الدرك ، وجهت إليه هذه الأسئلة :

س - كيف حصلت الحادثة

ج - لا أعرف

س - وكيف لا تعرف وأنت خفير الدرك

ج - غفلت عيني

س - وكيف تنام وعليك الحراسة

ج - لقد نام صاحب البيت نفسه فكيف لا أغفل

منطق هذا الخفير سليم في ظاهره ، فإذا كان صاحب البيت
قد نام وترك حراسته فأحق بالنوم من لم يكن صاحب البيت
والمثل المعروف : دعوا دما ضيعه أهله ، ولكن الخفير وهو
يتمنطق قد أغفل أهم عنصر حدير بالتقدير ، وهو أنه إنما يتقاضى

أجره من صاحب البيت لقاء سهره على حراسة بيته ، ومع ذلك فلا بأس .

والآن استمع معي إلى خفير يتفلسف ، وكان ذلك أمام أحد وكلاء مديرية الشرقية حيث اعتاد بعض المندوبين السامين — السفراء البريطانيين على ما كانوا يسمون فيما مضى — الصيد في إكباد وقد كان الخفراء يكلفون بحراسة قضبان السكة الحديد عند مرور هؤلاء السادة ، وقد تخلف أحد الخفراء عن الحضور أمام وكيل النيابة لأداء شهادته لأنه كان ضمن من كلفوا بالحراسة أثناء مرور المندوب السامي وقد سأله وكيل النيابة

س — لماذا تأخرت عن الحضور أمس

ج — كنت يا أفندم عند المندوب الثاني

مين اللى جاى ده

أخذنا بهذا المنطق الذى أنف ذكره ترى هؤلاء الأحراس الأيقاظ المشرئين إذا ما ارتكبت جنائية وأفلتهم الجانى لا يخفون لمطاردته فى مظانه وإنما يسارعون إلى الوقوف فى الطريق الذى يعلمون أن رجال النيابة والإدارة لاشك سالكوه وهم فى طريقهم إلى مكان ارتكاب الحادثه للتحقيق ثم يتصايحون بأصوات أخاذة تفاذه فى هدأة الليل ، مين اللى جاى ده ؛ وذلك ليثبتوا لهؤلاء السادة الواقدين عليهم من الحكام أنهم أيقاظ غير رقود .

حدث أن أحد وكلاء النيابة كان يضيق بهذا المهرجان البهلوانى الذى ينصب للقياء كلما ذهب إلى بلد لتحقيق حادثة فلم يكن يملك نفسه حين يقترب من مكان الحادثة ويسمع هذا التصايح أن يقف السيارة وينزل منها ثم يمشى ثابت الخطو حتى يصل إلى أول خفير ويعنف له فى القول وربما بالفعل لوقوفه وتصايحه فى غير مقتضى وتمكينه الجانى من الفرار وبذلك قضى وكيل النيابة على هذه المهرجانات وما بها من زيف .

تأثير اختلاف البيئة في العمل القضائي

قيده يا شيخ بهنساوى

يلاقى عضو النيابة حينما يعين لأول مرة في منصبه خارج مصر علماء كبيراً خصوصاً إذا كانت تنشئته في العاصمة فقط ولم يكن قد سبق له أن قضى زمناً ما في القرى حيث اللهجات والعادات والأوضاع تختلف كثيراً عما تعودته في أحداثه بمصر وعندئذ ينضح ذلك في عمله ، مثال ذلك عرض على أحد أعضاء النيابة محضر جنحة سرقة ، غنّب في مركز من مراكز الوجه القبلى وتتحصل أقوال المجنى عليه على ما جاء بمحضر البوليس في أنه حينما كان قائماً ليلاً على حراسة أشجار غنّب يملكها إذا به يسمع خفيف الشجر فتسمع وإذا به يرى شبحاً يستخفى خلف الأغصان حاملاً شيئاً في حجره ظنه المجنى عليه بعض العناقيد التى سرقها الجانى فضى نحوه ولكن اللص ولى مدبراً ، ولما أن رأى أن اللص سيفلته نادى «قيده يا شيخ بهنساوى» فإذا باللص يقف ولا

يستطيع حراً كما يتمكن المجنى عليه مع من حضر من الأهالي من القبض عليه ولما اطلع عضو النيابة على المحضر هاله أن البوليس لم يسمع أقوال الشيخ بهنساوى مع ما يبدو من أهميتها فأشر على المحضر يعاد إلى البوليس لسؤال الشيخ بهنساوى عن معلوماته وكيف تمكن من قيد المتهم وهل حصلت مقاومة من الأخير ليفر بما سرق ؟ وهل نشأ عن ذلك أصابات بالمجنى عليه مع ملاحظة أن لا ترسل المحاضر مستقبلاً إلى النيابة دون استيفاء التحقيق .

أشر ضابط البوليس على المحضر بعد أن أطلع على هذا الذى أشر به عضو النيابة ، يعاد المحضر إلى النيابة مع العلم بأن الشيخ بهنساوى ليس إلا اسماً لشيخ يتبرك به فى هذه الناحية ولم يكن هذا الذى جاء على لسان المجنى عليه إلا استدراراً للبركة منه وقد حصلت

لو ان عضو النيابة كان ممن عاشوا فى القرية وألم بأحاديثها لعلم أن هنالك أسطورة سيارة مؤداها أنه لو فجأ إنساناً ثعبان

وخشي أن يسطو به فما عليه إلا أن يقول قيده يارفاعي وعندئذ لا يستطيع الثعبان حراكا ولو قد علم عضو النيابة ذلك ماغزه القياس ولعرف على ألتو أنه كما للشيخ رفاعي كرامة في قيد الثعابين فإن الشيخ بهنساوى كرامة في قيد اللصوص فكل شيخ كرامة في ناحية من النواحي أرايت المنادى ينادى يا من رأى ولداً تائها صفته كذا وكذا ، فمن وجده فله حلاوة ثم يردف ذلك بقوله : يا عدوى ؛ والعدوى على ما قرأت في كتاب «حياتي» للأستاذ المحقق أحمد أمين شيخ من أولياء الله الصالحين موكل برد التائه إلى أهله ويروى المؤلف بهذه المناسبة حادثة طريفة فقد ألف المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى كتاباً أسماه «أين الإنسان» وقد قرأه المرحوم فتحى زغلول فلم يعجبه فأخذ القلم وكتب تحت أين الإنسان «يا عدوى»

بقرة كندوز

بينما كان البوليس يفتش بيتاً لمشتبه فيه وجد مواشى كثيرة مسروقة ومنها على ما جاء بالمحضر «بقرة كندوز» ولما أن عرض

المحضر على أحد أعضاء النيابة كتب عليه يعاد إلى البوليس
لسؤال الخواجه كندوز صاحب البقرة عن معلوماته وكيف
سرفت البقرة منه وهل أبلغ عن السرقة

لو ان صاحبنا وكيل النيابة كان ممن عاشوا في الريف لعرف
أن « كندوز » بعض أوصاف البقر ولكن نشأته بمصر أوجت
إليه أن كندوز اسم علم ، ولما لم يكن من المتعارف إطلاقه
على مصرى فلا بد أن يكون لأجنبي وعلى هذا الأساس
جرى قلمه .

حاجب قاهرى بادفو

كان أحد القضاة من الوجه القبلى واتفق أن عين قاضياً
لمحكمة أدفو وكان الحاجب من أهالى القاهرة ونقل أخيراً إلى
أدفو ، واسم صاحب الدعوى 'على ماورد فى الرول ' محمد أحمد '
فنادى الحاجب القاهرى فى صوت متسلخ متكسر وعلى طريقة

الحجاب من ترنيم وتنغيم « محمد أحمد » فلم يجب أحد مع أن المنادى كان جالساً بغرفة الجلسة وראה القاضي الذي يعرفه من قبل لأنه كان من أولئك الذين أغرموا بحب التقاضى فكان كثير الاختلاف إلى المحكمة فطلب القاضي من الحاجب أن ينادى مرة ثانية فنادى مرة أخرى « محمد أحمد » ولا من يجب عندئذ فطن القاضي الصعيدي إلى السر فراح ينادى على طريقة قومه في النداء وبعد أن أطبق راحتيه على طرفي فمه ليزيد الصوت المدوي دويًا زعق فنادى « يا وله يا محمد يا أبو أحمد يا وله » فلبى المنادى مسرعاً مهطعاً وتعلم الحاجب ما لم يحط به من قبل علماً وصار بعد ذلك يروض لسانه على هذا الضرب الجديد من النداء كما راح الأهالي يروضون أذانهم على الاستمتاع لندائه فصار يؤثر فيهم ويتأثر بهم حتى تلاقوا على نمط من النداء مفهوم من الجميع .

طيبة لسم

عين أحد القضاة بمحكمة الدلنجات ، ولما لم يسبق له
الجلوس بمحكمتها كما لم يسبق له العمل بها بالنيابة لاحظ وهو
بالجلسة أن بعض الأعراب يتحاشون النطق باسم الدلنجات
وهم يدلون أقوالهم أمامه ، بل يعبرون عنها بلفظة « طيبة لسم »
فأصر القاضي أن ينطق لفظ الدلنجات إلا أنه أبى فأصر القاضي
قائلا : « يا ولديا شيخ العرب قل الدلنجات » فأبى وقال للقاضي
والشتم ليه فرد عليه القاضي بأنه لم يشتمه فكان جواب الأعرابي
وأنت خليت : أي أنك لم تستبق شتما لأنه طلب منه أن ينطق
لفظ الدلنجات ولم ينطق الدلنجات

وبعد أن فرغ القاضي من نظر القضايا قام للاستراحة
وسأل فعلم أن بعض الأعراب يتذمّون من النطق بلفظ الدلنجات
لأن لها معنى آخر عندهم لم أر محلا لذكره

ولا يحسبن حاسب أن المام رجل القضاء بلهجات وعادات

البلد الذي يعين فيه أول مرة يقتضيه زمناً طويلاً بل إن ذلك
ميسور له في فترة قصيرة ثم يحيط علماً بكل ما فيها فإني اذكر اني
قابلت الزميل الذي تحدثت عنه فيما أنف ذكره وقلت له : كيف
حال الشيخ بهنساوى ، فقال : بخير وقد أصبحت ملماً بجميع
مشايخ البلاد ولهجات وعادات جهاته المختلفة إذ اضطربت
في جميع المديرية ذاهباً جائئاً رائجاً غادياً وفاقاً للحركات القضائية
فقلت له : بارك الله عليك وزادنا وإياك بسطة في العلم والعرفان .

وقائع مختلفة

كلب رومى

أرسل المركز إلى النيابة محضراً يتحصل فى أن كلباً عض شخصاً بالطريق وأبلغ البوليس الذى أمكنه معرفة صاحبه وهو مصرى الجنسية وبينما كان المحقق يسأله عن اهماله فى حراسة كلبه حتى عض آخر أجاب بأنه كلب رومى وديع لم يسبق له أن عض إنساناً ولكن المجنى عليه هو الذى عابشه واهتاجه فكان أن عضه وبعد أن فرغ الضابط من سماع شهادة الشهود والتحقيق أشر على المحضر بإرساله إلى النيابة الأهلية لترسله إلى النيابة المختلطة لأن الكلب رومى

غاب عن ضابط البوليس أن المتهم هو صاحب الكلب لا

الكلب نفسه

أكلت رصاصة

في جناية قتل وصل وكيل النيابة إلى حيث يوجد المجنى عليه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وكان النزف الذي أحدثه دخول المقذوف بجسم المجنى عليه شديداً وفي مثل هذه الحال يجب ألا يوجه من الأسئلة إلا ما يكون ضرورياً للكشف عن سبب الجريمة وفاعلها إن أمكن إلا أنه عن لأحد وكلاء النيابة أن يوجه للمصاب وهو على هذه الحال السؤال الآتي :

س - ماذا أكلت اليوم

ج - أكلت رصاصة ستميتني

زوج يشكو زوجه الحامل

ذات صباح كنت أقلب في كومة الشكاوى الإدارية وإذا بي أجد تلك الشكاوى الطريفة وتحصل في أن زوجاً يشكو زوجه الحامل لأنها تزمع السفر إلى الأراضي الحجازية لتأدية

فريضة الحج ويمحشى إن هي سافرت أن يصاب حملها منه بسوء
ويطلب من النيابة أن تمنعها من السفر

رأيت أني إن أشرت بمنع الزوج من السفر فقد يكون في
ذلك تعطيل لها عن أداء شعيرة من شعائر الدين هذا إلى ما في هذا
المنع من حد من حقها في أن تمشي في الأرض حيث نشاء وإن أنا
رفضت طلب الزوج فقد يصاب الحمل — وهو بعض نتاج
الزوجية — بسوء من هزاهن البحر وخضخضة ركوب الجمال
هذا إذا كنت مختصاً بإصدار هذا الأمر أو ذاك لذلك عمدت إلى
ما يعمد إليه أعضاء النيابة في أمثال هذه المسائل العائلية وأشرت
بإرسال الشكوى إلى المركز للسمي في التوفيق بين الطرفين
وتلفتت الأمور بأن يستعين بمأذون القرية فهو الكفيل بحسم
النزاع وتوجيههما الوجهة الشرعية الصحيحة — أو على الأقل —
هذا ما يمتقدانه وقد كان إذ ردت إلى النيابة الشكوى مثبتاً بها
أن الزوجة قبلت راضية مرضية أن تؤجل تأدية فريضة الحج
للعام القابل فأشرت بحفظ الشكوى إدارياً

أجرى على الله

سأل أحد وكلاء النيابة بمركز ديروط الجاني عن سبب قتله المجنى عليه ، فقال : طلبت منى أرملة — أيمها القتل في هذه الجناية — أن أقتله أخذاً بثارها منه وعرضت أن تؤجرني على ذلك ثلاثة جنيهاً إذ هي كل ما تملك ولما كان أجر إزهاق النفس البشرية في شريعة الجدعان هو خمسة جنيهاً ولم تكن لفقرها لتستطيع دفعه فقد قتله وأجرى على الله .

دشنا حكمت ! ؟

كنت قاضياً لمحكمة طحطا وفيما كنت انظر إحدى القضايا المدنية وقف أحد المحامين وفي يده مجلة المحاماة وقال : هذا حكم لمحكمة دشنا منشور بالمجلة وما إن هم بتلاوته حتى انطلق صوت يفع كفحيح الحيات وهو يقول : « معتش غير دشنه يجوز لوجالت ، وإذا بالغاضب الصاخب هو . خصم موكل المحامي الذي كان يستند إلى حكم محكمة دشنا

صاحبنا الطحطاوى لا يقبل أن يقتعد له قاضى محكمة دشنا
القواعد القانونية ولا ان يضع له المبادئ التى يمكن أن يسار على
هديها إذ قد تعلم — أو لا تعلم — أن دشنا تقع قبل طحطا
لست أدرى ماذا عساه كان يقول الطحطاوى لو ان محامى
خصمه استند إلى حكم صادر من محكمة مصر أرجح الظن عندى
أنه كان سيرعد فرقاً اعتقاداً منه انى أنا قاضى محكمة طحطا لا بد
أخذ بالمبدأ الذى حكم به قاضى محكمة مصر ، وأنه ولا شك
خاسر دعواه

وكانت غرفة الجلسة التى دوى فيها صوت هذا الطحطاوى
مجلجلاً راعداً فى منزل لأحد أعيان المدينة اضطررنا لاستئجاره
على عجل ليكون داراً للمحكمة ، وكانت تشغل من قبل داراً
فسيحة أعد بناؤها ليكون محكمة فسيح الأرجاء واسع الجنب
به حديقة وغرفة الجلسة كاحدى غرف محاكم الجنايات بمصر
ولكن فجاتنا مصلحة المبانى بتلغراف بأن بناءه آيل للسقوط
ويجب تركه فوراً فبحثنا حتى اهتدينا إلى المنزل المذكور وقد

تحدثت مع سكرتير المحكمة الكلية بأسيوط التي كانت تتبعها طحطا وقتئذ ليخبر رئيس المحكمة الذي كان مشغولا وقتئذ بالجلسه بأن يحضر إلى طحطا لمعاينة المنزل قبل التوقيع على عقد الإيجار ، ولما كان السكرتير أخبرني ان الرئيس سيحضر مساء اليوم نفسه فقد كلفته بأن يخبر الرئيس بأني أدعوه للعشاء ، وبعد أن تم كل شيء إذا بتلغراف من الرئيس يصلني قبيل وصول القطار ونصه حاضرون لمعاينة المنزل نحن لا نتمشي وكم كان دهشي عظيما لدى قراءته

شاع أمر هذا التلغراف في البلد ، وبعد أن عاين الرئيس المنزل وسافر إلى أسيوط عدت إلى المنزل لأستقبل ضيفي غير أنني فجئت بإرسال بعض منهم تلغرافات لي هذا نصها : « حاضرون لمعاينة المنزل نحن لا نتمشي » ولما كنت عزبا وقتئذ فقد قضينا تلك الأمسية ومدار الحديث طرافة تلغراف رئيس المحكمة الذي كان شيخا غريبا الأطوار فلم أكن صاحب قضية أمامه ولا كان مقدما له شكاوى عني حتى يتحرز من عشائه عندي .

أما كيف ذاع أمر التلغراف فيرجع إلى ما يختص به الأهالي في المراكز الخارجية عن القاهرة رجال القضاء من رقابة صارمة فما ينطق أحد منهم من لفظ أو يخطو من خطو إلا ورصد يثبتونه بل يمتد فضول الأهالي إلى كشف الخاص من أمر رجل القضاء في منزله فإذا وقعوا منه على ما يشين اختزنوه حتى إذا قضى في أمر على أحدهم بما لا يرتضيه سارع باجتراح ما اختزن في صورة بلاغ من مجهول إلى وزارة العدل أو النائب العام .

ولا يفوتني أن أشير إلى مكرمة للعمل في القضاء يهون بها جميع متاعبه ولا تجدها مثيلاً في أي عمل آخر تلك هي استقلال القاضى في عمله استقلالاً تاماً فما يحسر رئيس المحكمة أن يتحدث مع قاض في شأن قضية يكون من اختصاصه نظرها كما أنه إذا جلس حتى أحدث قاض مع رئيس المحكمة في دائرة واحدة كانت التسوية التامة في قيمة الرأي عند الحكم هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن عمل رجل القضاء مثبت معلوم مرقوم وهو وحده ناطق بكفاءته إن كان على شيء منها وبدقة بحثه إن كان قد دقق وبحث ولا قيمة لغير ذلك عند الموازنة والتقدير .

وأيضاً مندوب الحكومة

لم يكن صاحبنا الطحطاوى هو وحده الذى أثاره استناد محامى خصمه إلى حكم لمحكمة دشنا لأنها تقع قبلى طحطا بل ان مندوب الحكومة فى إحدى القضايا قد أثاره هو الآخر ما أثار الطحطاوى ، وكان مندوب الحكومة موظفاً بمديرية قنا نديه قسم قضايا الحكومة - قسم المرافعات - ليمثل الحكومة فى إحدى القضايا المنظورة أمام محكمة قنا وبعث إليه بمذكرة بدفاع الحكومة ليتولى المندوب إيداعها ملف القضية حتى تكون عند نظر المحكمة عند الفصل فيها إذ لم يكن يرسل قسم المرافعات فيما مضى محامين ليحضروا فى جميع القضايا التى للحكومة فى جميع المحاكم بل كان يكتفى فى بعضها بنائب أحد موظفى المديرية أو المركز

وقد أخبرنى أحد الزملاء أنه كان قاصياً فى إحدى الدوائر بمحكمة قنا الابتدائية وعرضت عليهم قضية كانت الحكومة طرفاً فيها فاستند محامى خصمها إلى حكم سابق أصدرته محكمة قنا

عندئذ ثار مندوب الحكومة الذى أتف ذكره وقال : « حكم محكمة قنا إليه أنا عندي هنا فى المذكرة أحكام صادرة من محكمة بورسعيد والإسكندرية »

هذا المندوب يتفق مع صاحبنا الطحطاوى فى أنهما يريان أن قضاة مصرهم وخدمهم دون باقى القضاة الذين يتوافر فيهم العلم والكفاية وكلمنا انحدرنا — على رأيهما — جنوبا وجدنا الجهل يبدأ يتغشى القضاة فإذا وصلنا قنا وجدنا فى قضاتها إثارة من علم أما إذا انحدرنا جنوباً إلى أسوان فالجهل يطبق على عقول قضاتها تماماً . إلى هنا ثم يفرقان فإن الطحطاوى يميز عن مندوب الحكومة بسلامة الذوق الفطرى فإنه إذ ثار كان يعظم قاضى محكمته ويكبره عن أن يأخذ برأى قاضٍ دونه وهو قاضى محكمة دشنا — على رأيه — أما مندوب الحكومة فإنه يجبه القضاة الذين يخاطبهم بأن حكمهم لا شئ وأنه دون حكم محكمة بورسعيد والإسكندرية وفى هذا ما فيه من عدم سلامة الذوق

أظنك مى بعد ذلك فى أن سلامة الذوق ليست خصلة
تمشى فى ركاب الثقافة تبعاً وتواكبها حتماً وأن المعلم قد يهذبها
والثقافة قد تشذبها إن كانت موجودة بالفطرة أما أن يكون
شئ من ذلك خالقاً لها فلا ، فهى لا تكون إلا موهوبة ولا
تكون أبداً مكسوبة .

يطلب الانتقال إلى المقبرة

كان أحد القضاة بحكمة الوايلي قد أسن ورق منه الجلد وودق العظم وتناهته السقام فكان دائماً متطيراً منشائماً ، وذات صباح طلبت القضية الأولى وكانت نزاعاً على مقبرة وإذا بمحامى المدعى يبادر طالباً انتقال المحكمة للمعينة وما أن سمع القاضى هذا الطلب حتى فزع مبسماً محوقلاً ، وقال غير هذا الطلب يا أستاذ ولكن المحامى أصر على طلبه إذ لا يتيسر كشف وجه الحق في القضية إلا أن ينتقل القاضى إلى المقبرة وعندئذ اتجه القاضى إلى محامى الخصم وقال له : مارأيك فيما يطلبه زميلك ، فرأى المحامى الآخر وكان كيساً نهازاً للفرص السانحة إنى أعارض فيما يطلبه زميلى فلا جدوى من انتقال القاضى إلى المقبرة وإنما أطلب نذب خبير للانتقال إليها ومعاينتها وعندئذ انبسطت أسارير القاضى واطمأننت إلى هذا الطلب نفسه إذ به وحده يبين وجه الحق فى الدعوى وعلى الخبير قد وقع ولذلك قضى على الفور بنذب خبير هندسى للانتقال إلى المقبرة ومعاينتها وتقديم تقرير عنها

إتله

كان أحد القضاة فكها مزحاً مسرفاً في ذلك حتى ليعمل على خلق النكته خلقاً ولا يقتصر على تلقفها إن هي سنحت مما كان سبباً في تأخيرها في الترقية وقد نبه إلى ذلك إلا أنه كان لا يملك نفسه عن ذلك ردعاً وفيما كان ينظر إحدى الدعاوى المدنية وقد احتدم النزاع بين الخصام إذا بأحد محامي الخصوم يقف ملوحاً بورقة في يده قائلاً : لقد وقعت على مستند قاطع في الدعوى ومؤيد تأييداً تاماً لحجة موكلتي فنظر إليه القاضي وقال : « إتله » فبهت المحامي وصاح هذه إهانة إلا أن القاضي تبسم ضاحكاً من قوله وقال له مرة ثانية « إتله » فنضا المحامي الروب عنه وأعلن انسحابه من الجلسة احتجاجاً على تلك الإهانة المتكررة ولكن القاضي وقفه وقال له : أية إهانة في أن أطلب منك أن تتلو مستنداً تشير إليه فالضمير في اتله عائد على هذا المستند عندئذ فطن المحامي إلى ما قصد إليه القاضي فراح يتلو المستند نشطاً مرحاً .

إعدام

كان أحد رؤساء المحاكم على قريب من الترقية إلى وظيفة
مستشار وقد تسلط عليه وسواس ملازم بأن الوزارة ترقبه في كل
هنة تصدر عنه لذلك كان يحرص على أن يفتح الجلسات في الميعاد
المحدد ويستمر في نظر القضايا الواردة في رول الجلسة إلى آخرها
دون أن يقوم للاستراحة على الرغم من معارضة القاضيين
الجالسين معه وإلحاحهما من الحين إلى الحين في طلب رفع الجلسة
للاستراحة لسبب أو آخر. ولذلك بيتا أمرا، ولما كانا من اليوم
التالي بعد أن فتحت الجلسة ونظرت المحكمة بعض القضايا عرضت
قضية جنحة سرقة محكوم فيها من محكمة أول درجة بحبس المتهم ثلاثة
أشهر وليس للمتهم سوابق وقد استأنف المتهم ولم تستأنف النيابة
وبعد فراغ المحامي من مرافحته همس الرئيس في أذن القاضي
الجالس عن يساره سائلا إياه عن العقوبة التي يرى توقيعها فأجاب
إعدام جفل الرئيس وقال هذا مستحيل هذا مخالف للقانون،
ثم همس في أذن القاضي الجالس عن يمينه سائلا إياه عن العقوبة

التي يقترحها فقال : إعدام . فقال مرة ثانية هذا مستحيل فردا عليه إن الحكم يصدر كما يراه أغلب الأعضاء ونحن اثنان نرى توقيع عقوبة الإعدام ، وأنت واحد تعارض والقانون يقضى عليك أن تنطق بحكم الإعدام . فلما أن ساء الرئيس بهما لم يربداً من رفع الجلسة للاستراحة غير أن العضوين الجالسين معه اعترضوا فأصر الرئيس على وقف الجلسة للاستراحة ولم ينطق بالحكم .

وفي فترة الاستراحة ، وبعد المداولة اتفقوا على الحكم وهو يقضى بتأييد الحكم المستأنف كما اتفقوا على أن يعلن الرئيس الاستراحة كلما دعى لها وطلبها أحد الأعضاء .

صعیدی

كان أحد القضاة واسمه نصيف جرجاوى عين مستشاراً بمصر قاضياً لمحكمة بندر الزقازيق وهو من أبناء الصعيد واسمه كاشف عن ذلك . وذات يوم وهو في مجلس القضاء إذ نودى على بنى متهمه بأنها حذفت رجلاً بحجر فأحدثت به جرحاً ولما أن سألها

القاضى فى التهمة أجابت أنها كانت أمام دارها وإذا رجل صعيدى لوح قفا بقف أخذ يناوشها وعبثاً حاولت طرده ، فلما أن أعياها أمره حصبته بحصاة رفيعة . ولما أن نودى على المتهم وحضر وجد حدثاً صغيراً لا يقدر على شىء فصاحت ليس هذا هو المتهم إنما هو صعيدى لوح قفا بقف ولما استيقن القاضى أن الإعلان وجه خطأ للمتهم الحاضر بالجلسة قرر تأجيل القضية لتعلن النيابة المتهم الحقيقى معرفاً النيابة عن شخصه بما وصفته به التهمة من أنه «صعيدى لوح قفا بقف» قالها القاضى وأنف المصيبة الصعيديه راغم .

كلنا عندنا سكر

كان أحد القضاة يرأس إحدى الدوائر بمحكمة مصر وكان ممن ثقفوا ثقافه فرنسيه صرفاً إذ كانت دراسته بالمعاهد الفرنسيه وبالمنازل لا يتحدث هو وعائلته إلا الفرنسيه على البدع الذى كان فاشياً من أن يتحدث بها كان من أمارات العلية من المصريين ولذا كان إذا شكاً ألماً بالمعدة قال : Je souffre de gastrite ولا يعرف مرض السكر إلا باسمه الفرنسى diabet وقد حدث فى إحدى الجلسات التى يرأسها ان طلب أحد القاضيين اللذين

يجلسان معه رفع الجلسة للاستراحة فوافق ثم بعد قليل طلب رفعها مرة ثانية لأنه عنده « سكر » فعارض الرئيس وأصر العضو لأن عنده سكر وهدد بالخروج وحده اضطر الرئيس إلى رفع الجلسة وما أن خلا الأعضاء بعضهم إلى بعض في غرفة المداولة حتى صاح الرئيس هذه استراحات كثيرة، وكل قليل سكر سكر كلنا عندنا بالمنزل سكر ومشاي وغيره لست وحدك يا من شير الذي عنده سكر ولما أن قيل له : أن سكر هنا ترجمة لكلمة diabet اعتذر انميله القاضي آسفًا .

كانت لا بسمة سمو كنح

كنت قاضياً لمحكمة المحلة الكبرى بعد المرحوم محمد البابلي وكان على ذكاء ساطع لملاح يلقط الملح طائرة ويقولها خطفًا ولا يتغير لما سمع أو قال شيء من معارف وجهه — كان مستشار بمجلس الدولة وتوفي رحمه الله رحمة واسعة — وفيما كان يرأس إحدى جلسات محكمة المحلة الكبرى عرضت عليه قضية جنحة سرقة إوزة ، فسأل المجنى عليها عن أوصافها فأجابت : بأن لها جناحين

سوادا وبن وصدرها أبيض ، فقال القاضى : على التو « كانت
تلبس سموكنج يعنى » وأنى اقتصر على إيراد هذه الملحة تاركا
الكثير مما سمعته عنه .

جمعه ورا جمعه

كان اسم القاضى « نخله » - كان وزيراً - والمتهم جمعه ، والتهمة
إتلاف أشجار نخل لجاره ، سئل المتهم فى التهمة فأجاب بأنه ينازع جاره
ملكىة الأرض التى زرع بها النخيل إذ زرعها فى أرضه بغير حق
ولذلك اقتلعها نخله ورا نخله ورا نخله ولما أن اطمان القاضى إلى
ثبوت التهمة نطق بالحكم وهو يقضى بحبس المتهم ستة أشهر هنا
صاح المتهم هذا ظلم فرد القاضى هون عليك ستمر جمعه ورا جمعه
ورا جمعه -

ثلاث سنوات فقط

عرف عن المرحوم محمد مجدى المستشار أنه كان إذا اقتنع بإدانة
متهم قسافى توقيع الحكم بالمقبوبة حتى لتكون فى كثير من القضايا

النهاية القصوى التى نص عليها القانون للعقوبة ، ولذلك كان إذا اقترح أحد زميليه من المستشارين الجالسين معه عقوبة دون النهاية القصوى استقلها فإذا قال مثلاً زميله خمس سنوات رد «بس خمس سنوات» ولكثرة ما ردد هذا التعبير مع زملائه بلغ منه مبلغ العادة حتى لقي صديقاً له ومعه طفل له فسأله عن سن ابنه فقال : ثلاث سنوات ، فلم يدر حضرة المستشار الكبير ألا ولسانه يردد «بس ثلاث سنوات» طوعاً للعادة التى استبدت به .

أمر يده على عمامته

يروى أنه عرف عن المرحوم الشيخ محمد عبده أنه كان إذا اطمأن إلى ثبوت التهمة وأراد توقيع العقوبة أمر يده على عمامته ودفعها إلى الخلف ، وقد حدث أنه كان ينظر فى إحدى القضايا ووضع يده على العمامة فصاح المتهم قائلاً : «أوع ترحلقها» .

لا جريمة

روى لى أحد كبار رجال القانون بمصر الآن أنه كان مساعداً للنيابة في سنة ١٨٩٨ ، وكان نيابة النيابة الكلية وقد عرض على رئيس النيابة وعلى الأصح نائب نيابة النيابة إحدى الجنايات الواردة من الجزئيات وتتحصل ظروفها في أن أحد العمد رأى خصماً له ماراً بالطريق فأمر أحد الخفراء ممن كانوا يرافقونه أن يطلق عليه عياراً نارياً غير أنه لم يصبه فأمر آخر بأن يطلق هو العيار الناري فأطلقه وأصاب من المجنى عليه مقتلاً ، قيد وكيل النيابة المحقق الحادثة ، شروع في قتل ضد الخفير الأول وقتل ضد الخفير الثاني وقيدها ضد العمد على اعتبار أنه شريك بالتحريض في ارتكاب الجنايتين السابقتين ، ولما أن فرغ مساعد النيابة . القاص من عرضها على نائب النيابة سأله الأخير عما يراه في وصف زميله للحادثة فأخبره بموافقة على رأى زميله فما كان من نائب النيابة إلا أن عيبه وزميله بضحالة التفكير والبعد عن تفهم

القانون تفهماً صحيحاً وراح يرشده ويعلمه قائلاً : إن القانون لا يعاقب إلا على الأفعال المادية التي أدت إلى ارتكاب الجريمة فعلاً ومن ثم لا يؤخذ على ما حدث من الخفير الأول الذي لم يزد عن أن أطلق عياراً نارياً لم يكن له من أثر فعلي في القتل ، أما العمد فكل ما صدر منه كلام في كلام وكان في ميسور الخفير القاتل ألا يستمع إليه ، وعلى ذلك قيد الحادثة ضد الخفير الذي أصاب عياره المجنى عليه ، ولم يقيد ما ضد الخفير الآخر أو العمد .

عرضت القضية على محكمة الجنايات ، وقد وكل إلى وكيل النيابة - مرقص حنا - الذي كان وزيراً - المرافعة في القضية ولما أن أخذ رئيس المحكمة على النيابة هذا الخطأ الفاضح أجاب المترافع بأن التصرف في الجنايات من اختصاص نائب رئيس النيابة فقررت المحكمة القبض على العمد والخفير الآخر وأرسلت خطاباً شديداً للجهة إلى نائب النيابة .

مخالفة لا جنائية

قص على القاص نفسه الحادثة الآتية ، وقد حصلت ظروفها في الوقت الذي حصلت فيه الحادثة السابقة : أى في أواخر القرن الماضى ، فقال : جرى العمل فى النيابة على أنه فى مخالفات السكة الحديد يقبض البوليس على المتهمين ويرسل المتهم مع المحضر فوراً للنيابة فيستجوب عضو النيابة المتهم ويقدمه للقاضى مباشرة فإذا أصدر حكماً بالإدانة نفذ على التو والسبب فى اتخاذ هذا الاجراء فى مخالفات السكة الحديد بالذات أن أغلب المتهمين فيها ممن لا يؤويهم منزل ولا يعرف لهم مستقر فإذا اطلق سراحهم عقب ارتكاب الحوادث وطلبوا بعد ذلك لجلسة المحاكمة استحال الاهتداء إليهم وبذلك يفلتون من العقاب ، وقد حدث أن عرض على أحد أعضاء نيابة المنيا التى كان الراوى عضواً بها فى أواخر القرن الماضى محضر يتحصل فى أن المتهم ضبط راكباً القطار ، وقد قدم للكمسارى تذكرة وجد أنها كانت تخوله الركوب فى القطار اليوم السابق فاستجوب عضو النيابة المتهم عن الحادثة

وقيدها جناية تزوير في أوراق رسميه مع ان الأمر لا يعد وأن يكون مخالفه .

ارجو ملاحظة ان الحادثتين السابقتين حصلتا في آخر القرن الماضي ، وقد رويتها لقيمتها التاريخيه إذ يستحيل أن يحدث الآن مثل هذا الخطأ من أعضاء النيابة .

عوارض

كان أحد القرويين بمرکز قلوب يهارش قطته فعضته في ساقه وأحدثت به جرحاً لم يحفل به أول الأمر إلا أن الجرح خبت بعد أيام وتقيح فذهب إلى مركز البوليس ليبلغ عن سبب الإصابه حتى يجرى البوليس محضراً بما حصل ويحياه على المستشفى وبعد أن سمع معاون الإدارة المحقق أقوال المصاب وأتم التحقيق حار فيمن يقيد التهمه ضده أهو صاحب القطه ، ولكنه هو المصاب والمجني عليه فلم ير أمامه إلا أن قيدها ضد القطه وأوسلها إلى نيابة قلوب التي أعادت له المحضر لقيد عوارض .

متشرد يدفع الكفالة

ضبط البوليس أحد المتسكعين في شوارع بندر دسوق في حالة تشرد فحرره محضراً وأرسله للنيابة ، وبعد ان استجوب وكيل النيابة المتهم أمر بالإفراج عنه بكفالة قدرها ثلاثة جنيئات دفعها المتهم وأخلى سبيله ، فلما أن عرض على وكيل النيابة الذي روى لى هذه الحادثة المحضر حفظ الحادثة لعدم الجناية لأنه ما دام المتهم يملك ثلاثة جنيئات دفعها كفالة للأفراج عنه فلا يكون متشرداً .

عمدة

عرف لأعضاء النيابة بأحد مراكز الوجه القبلي عمدة بالبساطة حتى ليبلغ ذلك منه حد البلاهة ، وقد كان أحدهم يجرى تحقيقاً ببلده فوقع بعصره على صورة معاقبة لأعضاء مجلس الشيوخ وكان أخوه عضواً بهذا المجلس وصور معهم ، فسأل وكيل النيابة العمدة أين هو أخوك في هذه الصورة فرد العمدة معذرة يا سعادة البيك

فأني لا أقرأ ولا أكتب ؛ ولما أن كان وكيل النيابة يجرى
المعاينة في إحدى الجنايات قال له المجنى عليه والشهود ان المتهم قفز
من حائط هذه الدار إلى حائط أخرى تبعد عن الأولى مسافة طويلة
أثبت وكيل النيابة بمحضره عدم إمكان حصول هذا القفز فعز على
العمدة أن يتسم هو ورجاله بالكذب فما كان منه إلا أن قام وقفز
من الحائط إلى الحائط الآخر فعاد وكيل النيابة وأثبت بمحضره
ماحصل من العمدة وأن الحادثة يمكن أن تحصل على النحو الذي
شهدت به الشهود ولكن ما لم يثبت بمحضره هو أنه كان وجلا خائفا
أن يهوى العمدة إلى الأرض فتكون حادثة أخرى قد يكون
عليه نصيب من مسئوليتها

إنكسر حكمك

حدث أن كان هذا العمدة يؤدي شهادة أمام قاضي محكمة
مركزه في قضية مواد مخدرة فسأله القاضي هل كان معك إذن
من النيابة بتفتيش المتهم قال لا ، فقضى القاضي ببراءة المتهم ثم

عاد العمدہ ليشہد أمام نفس القاضی فی قضیۃ مواد مخدرۃ أخرى
فسأله القاضی نفس السؤال وعما اذا كان قد حصل من النيابة
على إذن بالتفتيش فرد عليه العمدۃ . « أظنك عايز تبرا المتهم كما
حصل فی القضیۃ السابقۃ یاسیدی ربنا أخذ بالید وتکسر
حکمتک فی الاستئناف » تفيظ القاضی ولكن وکیل النيابة
أخبره بما عليه الشاهد من بساطۃ .

خضم ثالث

كان قاضى محكمة المطارين ينظر فى إحدى القضايا وهو مكدود مجهود فضلا عما يعتمد فى نفسه من أسى والتىاع لتخطيه فى الترقية مع أنه على قريب من سن التقاعد وكان الخصمان فى القضية التى ينظرها ممن عرفوا باللد فى الخصام والتفنن فى طرقه وإذا بشخص يتقدم وهو يقول للقاضى أطلب دخولى خصما ثالثا فى الدعوى، عندئذ غلبت على القاضى فطرته لما يؤوده من جهد فى حاضره وأسى على ماضيه وابتئاس بمستقبله فأقلته زمام أعصابه فنطق بالقرار وأسبابه على غير وعى منه « رفض وهل أنا قادر على خصمين حتى أدخل معهما ثالث » فاعترض طالب التدخل وعندئذ قال القاضى محتدا، بره يأسى خضم ثالث، وكان الحاجب حريصا على أن يردد ألفاظ القاضى كماهى وينفذها كماهى، فراح يردد ما قاله القاضى بصوت مدو وعلى طريقة الحجاب من تنغيم

وترنيم وتقطيع وترجيع «برة ياسى خصم ثالث» فانطلق صاحبنا
إلى الطريق ثم انغمس فى غمار الناس مستخفيا متواريا
حصل هذا فى أواخر القرن الماضى وسأذكر الحادثتين
الآتيتين وقد حصلتا أيضا فى تلك الفترة

لخط بك فى مصر

قص على مستشار بمحكمة النقض قديم حملته الأيام حتى
خرج من القضاء إلى التقاعد فى الخامسة والستين وأنى لأرجو
له المزيد من العافية وطول العمر قال : عينت أول ماعينت قاضيا
بأسوان وكان بها قاض هرم لا يعرف لسنة بداية فما لمولده أثر
فى سجل يضبط تاريخه وقد ضعف حتى ما كان يجلس بالجلاسة
فى أسوان - إلا والمصطفى بجواره لترسل منه الحرارة إليه قال
الراوى ولما أن زرته قال لى ناصحا ، هذا أول عهدك بالقضاء ، وإن

أردت أن لا يطول مقامك في أسوان وأن تكون نقلتك إلى مصر
فارفع من صوتك بالجلسة وأرسله مصلصلا مجلجلا فيتسامعك
الناس فتبادر الوزارة إلى نقلك إلى مصر وحذار من أن تخافت في
حديثك أو تهمس بالصوت الخفيض وافعل كما أفعل على وهن
منى ، قال القاص وجاءت الحركة القضائية وإذا القاضي الشيخ
ينقل إلى دمنهور فما وسعني أن أذكرته بنصيحته ثم قلت له :
لو أنك خفضت من صوتك هونا مالحط بك في مصر ، أما وقد
أعليته كثيرا فقد طار بك إلى دمنهور ، فوقع قولي من نفس
القاضي الشيخ هوى ، وقال ، هوذاك يا بني وإني إن شاء الله لفاعل

المتهم يتشعبط

قص الراوى نفسه الحادثة الآتية وهى تدل على أن لغة الأحكام كانت فى أواخر القرن الماضى فى بعض القضايا ركيكة اللفظ عامية الأداء وإليك المثل جاء بحكم من الأحكام الصادرة فى تلك الفترة ما يأتى « من حيث أن الشاهد رأى المتهم يتشعبط على الحائط ومن حيث أن المتهم أعور وكل ذى عاهة جبار نرى تشديد العقوبة عليه » .

أذكرنى ذلك ما جاء فى تقرير المغفور له الشيخ محمد عبده عن بعض القضاة فى المحاكم الأهلية والمختلطة فى أواخر القرن الماضى وقد أنف ذكر هذا التقرير .

ما تفهم مش

كان المرحوم محمد صالح المستشار لملاح الذكاء ساطعه حتى لقد كان يكتب الأسباب فى الجنايات قبل النطق بالحكم بالجلسة

عينا التي ينظر فيها القضايا، حدث وهو رئيس إحدى المحاكم الابتدائية أن زاره زميل له من أقرانه كان قد أوتى من الغباء مثل ما أوتى المستشار محمد صالح من الذكاء فقال له :

أنت هنا فارغ من العمل في ندوتك للحديث والسمير وأنا
دائب على مذاكرة القضايا وأنت ترقى رئيس محكمة وأنا لا
أزال قاضيا فرد عليه ما تفهمش ازاي
قال أهذا عدل أنا أؤدي واجبي ولا آتى نكرا وأظل قاضيا
فرد رئيس المحكمة ما تفهمش

ومع ذلك لم يفهم القاضى ما يغمزه به رئيس المحكمة صالح
على ما كان وقتئذ

معـه حق

كان رئيس محكمة النقض أحمد حسن وهو رئيس لمحكمة
استئناف أسيوط لا يقبل تأجيل القضايا المعروضة عليه ويعمل

جاهدا على الفصل فيها ولما أن عرض الأمر على وزير العدل أرسل له جوابا يثنى فيه عليه فردده على الوزير قائلا، آسف إني إن قبلت منك توجيه الشناء، فقد خولتكم حق توجيه اللوم، وهذا وذاك ليسا من حقتك على .

ولما أن قرأ الوزير هذا الخطاب زم ما بين حاجبيه وقتل شاريه ثم مصمص شفتيه وقال متفكرا « معه حق »

ملحوظه : سبق أن نشرت الصحف أمر هذا الخطاب

حضرة صاحب الفضيلة

حدثني المستشار نصيف جرجاوى فقال :

كنت قاضياً بمحكمة قنا لما أن اعتدى على الزعيم الأبي سعد زغلول سنة ١٩٢٤ فأرسل له قضاة المحكمة تليفرافات يهتثونه بنجاته ، وقد أرسل قاضى محكمة نجع حمادى الأهلى فيمن أرسل تليفرافاً وكتب تحت إمضائه قاضى محكمة نجع حمادى دون أن يبين ما إذا كان هو القاضى الأهلى أو القاضى الشرعى وبعد أيام جاءه كتاب من الزعيم بالشكر كباقى زملائه غير أنه وجد مكتوباً على الغلاف العنوان الآتى على اعتبار أنه القاضى الشرعى :

حضرة صاحب الفضيلة حسن الهضبي قاضى محكمة
نجع حمادى .

وفى سنة ١٩٥١ اختير المستشار الهضبي مرشداً عاماً للاخوان المسلمين وصار يلقب بصاحب الفضيلة ، أما لماذا كتب له على

غلاف خطاب الزعيم صاحب الفضيلة فأظننى إذ أحدث لا أبعد
فلعله أن يكون قد ضمن تلغرافه آية كريمة مما يقال فى مثل هذا
المقام فرجع سكرتير الزعيم لذلك أنه لابد أن يكون القاضى
الشرعى لمحكمة نجع حمادى .

ومهما يكن من سبب فكان ما كتب على غلاف كتاب
الزعيم سعد فى سنة ١٩٢٤ كان إرهاباً بالذى سيكون
فى سنة ١٩٥١ .

بين النيابة والإدارة

يقع أحياناً بين رجال النيابة والإدارة نزاع . يحل أسبابه
المثل الآتية :

حدث إنى انتقلت ليلافى حادثة حريق جرن كبير لتفتيش
يضم آلاف الفدادين وما أنسى ولا أنسى منظر السنة النار وهى
تزغرد وتبعث اللهب فى الجو سامقا شاهقاً وقد ضوأت الأرض
والسما وأحالت بهمة الليل نهراً مبصراً .

اتهم المفتش بعض الأجراء بوضع النار عمداً فى الجرن لأنه
طردهم ، ولكن للمأمور رأى آخر ، وهو ان النار لم توضع عمداً
فى الجرن بل ان سبب الحريق يرجع إلى إهمال من بعض العمال
الذين ينقلون البر إذ يلقون أعقاب لفائف الدخان ولمالم
يطفئوها وبذلك تشتعل النار فى عيدان القمع ، فالحادثة على ما
يصورها المأمور عن إهمال ومن ثم تكون جنحة لا جناية كما يصورها
المفتش ، تعودت إلا أدخل فى جدال مع رجال الادارة فى مثل هذه

الأمر لسبب بسيط وهو أن مرجع التصرف في الجنايات لرئيس النيابة فهو وحده الذى يصف الحادثة الوصف النهائى وقد أضمن مذكرتى المرسلة إليه رأياً فى وصف الحادث ويرى هو لسبب أو آخر أن يأخذ بوجهة نظر رجال الإدارة فلا جدوى ولا محل إذا للجدال .

يتضح مما سبق أن المأمور يريد أن يتنزل بوصف الحادثة من جنائية وضع النار عمداً إلى جنحة حريق بإهمال قد يكون ذلك منه ، لأن هذا هو التصوبر الصحيح للحادثة على ما يعتقد وقد يكون لأنه يرى كبعض رجال الإدارة — وهم قلة — لأن الجنايات هى أهم ما يوضع فى الميزان عند تقدير كفايته ، فإذا ثقلت كفته وحطت من كثرة ما وضع فيها من الجنايات نقصت درجة كفايته تبعاً وإن شئت كفة الميزان لقلة ما يوضع بها من جنائيات زاد تقديره .

إحراق كل أجران البلد

حدث أن أصدر أحد المآمر أمرًا بأن توضع جميع البيادر التي بالقري على شواطئ الترعة التي تجوزها وقد قصد من ذلك أن تكون على قريب من المياه حتى إذا اشتعلت النار بإحداها أمكن إطفائها فوراً ، ولكن الذي حدث أن النار وضعت في إحداها فالتهمت الباقي لأنها سريعة الانتقال من جرن إلى جرن إذ صادفت ريحاً عاتية ، ولذلك قيدت النيابة إحراق جميع بيادر البلدة جنابة واحدة لأنها حدثت في وقت واحد بسبب واحد ولو قد تركت مبعثرة في البلد لعد كل حريق في كل منها جنابة مستقلة .

لم يقصد المأمور إلى هذه النتيجة من تقليل عدد الجنابات ولكن أظنها جاءت عفواً إذ نيته حسنة ما في ذلك شك في وضع جميع البيادر التي بكل بلدة على قريب من الماء .

أبلغ أحد وكلاء النيابة بثلاث حوادث حريق وكانت وجه نظر رجال الإدارة أنها من أعقاب سجائر على ما مر بك .

ولما أن فرغ من تحقيقها وأوى إلى منزله صلصل التلفون وكان النوم يرئق في عينيه فاستمع وإذا المأمور يبلغه بمحصول حريق ومن سيجاره ، لم يملك نفسه وكيل النيابة من أن يقول للمأمور لو كانت سجاير ما توسيان كلها بهذا المركز لنفدت قبل أن تنفذ حرائقه .

كان يقال قبلا في بعض النواحي ان النار اشتعلت نتيجة أكل الفأرة لأعواد الكبريت فلا جناية في الحادثه .

سبب آخر من أسباب الخلف المعاينات في جرائم الاتلاف إذ قد يؤخذ منها أن عدد الجناة من القلة بحيث تعتبر الحادثة ليلا جنحة أو من الكثرة بحيث تعتبر الحادثة ليلا جناية ويقوم الخلف أحيانا حتى في جرائم القتل فإذا قتل رجل في حقل وأبى أهله اتهام أحد لما يضمنونه من طلب الثأر أو لأنهم لا يريدون اتهامه لا جدوى منه لضعف الدليل أمكن أن يقال : أما وأهل القتل لاعداء بينهم وبين أحد فقد تكون الحادثة حصلت عن إهمال وأن يكون القتل قد أصيب بعيار طائش من أحد الزراع الذين يحرسون زراعتهم ويطلقون الأعيرة إرهاباً .

حدث أنى ندبت وكيلا لنيابة طهطا لمرض وكيل نيابتها وكانت تحية القدوم إشارة تبليغ عن جثة عثر عليها فى النيل والذى رآها أحد الأعيان كان قد رشحه المأمور شيخا لإحدى الحصص يبلده والذى تلقى التبليغ منه ضابط عين حديثا ، قديكون ما نقل إلى غير صحيح من أن المأمور ندم على ترشيحه المبلغ شيخا لإحدى البلاد كما أنه أنب ضابط البوليس لتبليغه عن الحادث لأنه كان يؤثر أن يدع الجثة حتى تسير مع التيار إلى مركز آخر حتى لا تعتبر جنائية فى مركزه .

ومهما يكن من أمر فإن بعض رجال الإدارة يعملون أحيانا على ذلك

مثل آخر من أمثلة الخلف بين رجال الإدارة فيما بينهم ، تقع الحوادث أحيانا على حدود فاصلة بين مديرتين يختلف أولا مأمورا المركزين المتجاورين والتابع كل منهما لمديرية مجاورة للأخرى عند تحديد مكان الجريمة فكل يود أن يكون بعيدا عنه حتى تعتبر الجنائية قد ارتكبت فى المركز الآخر فلا تحسب على المركز الذى يرأسه وبالتالى على المديرية التى يتبعها المركز فى سبيل تحديد تبعية مكان الجريمة تحصل مفاوضات وتتخذ إجراءات عديدة وقد تتولاها وزارة الداخلية

حوادث اعتداء على القضاة

على رئيس وزراء سابق (محمد سعيد)

كان الدكتور حسن نشأت أستاذاً بكلية الحقوق أو على الأصح مدرسة الحقوق ، وفيما كان يلقي علينا دروساً في قانون تحقيق الجنايات أخبرنا بالواقعة الآتية :

كان يرأس محكمة جنايات الإسكندرية المستشار محمد سعيد الذى كان بعد ذلك رئيساً للوزراء . وبعد أن نطق بالحكم فى إحدى القضايا ، وكان الحكم يقضى بمعاقبة المتهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، خلع هذا المتهم بعد سماعه الحكم بلغته وصوبها نحوه رئيس المحكمة فأصابه . ومنذ ذلك التاريخ يفتش المتهمون تفتيشاً دقيقاً قبل إدخالهم قاعة الجلسة ولا يسمح لأي منهم أن ينتعل شيئاً بل يدخلون جميعاً حفاة الأقدام فى قاعة محكمة جنايات الاسكندرية .

مما أفرغ

حدث أخيراً أمام إحدى دوائر محكمة الجنايات بمصر أن ظن أحد المتهمين - إن خطأ أو صواباً - أن اسئلة رئيس الدائرة تتم عن اتجاه المحكمة إلى إدانته فاستأذن المتهم اليه ليذهب لقضاء بعض شأنه فأذن له الرئيس وقد صحبه حرسى ، فلما أن خلا إلى نفسه وقضى حاجته احتفظ في ورقة كانت معه بشيء مما أفرغ ثم دسها بما فيها بجيبه وبعد أن فرغت المحكمة من نظر القضية ونطق الرئيس بالحكم وكان يقضى بإدانته سرعان ما أخرج المتهم من جيبه ما اختزنه والتي به في وجه الرئيس وكان جزاؤه على هذا الاعتداء الذى تقذره كل من رآه أو سمع به الحكم بالحبس ثلاث سنوات .

ولما كان الإجرام كبعض الأدواء يعدى ، فقد حدث بعد هذه الحادثة حادثة أخرى تشبهها - فى دمنهور إذ كان المتهم ينقم من قاضى محكمة دمنهور سابقة الحكم عليه فى تهمة اتجار بالمواد المخدرة حكماً غليظاً ، فلما ان جىء به أمام نفس القاضى فى تهمة

مماثلة كان أول ما بدأ به أن حي القاضى التحية التى سبق حصولها
في محكمة جنابات مصر وكان قد أعد بطاقة التحية وخبأها في جيبه
على ما فعل المتهم في مصر فلم يملك القاضى وقد لوثت ملابسه أن
يقف الجلسة ليغير ثيابه وعف عن أن يحاكم المتهم أمامه
وترك أمره إلى قاض آخر ليحكم في هذا الاعتداء.

هذا ظلم

حدث غير مرة أنى بعد النطق بالحكم كان يصيح المتهم
هذا ظلم ، ولما كنت قد حفظت في بواكير عهدي بالقضاء
الحديث الشريف «إنا أنا بشر وإنما تختصمون إلى فلعل بعضكم
أن يكون أبلغ بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن
قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما هي قطعة من النار فليأخذها
أوليتها»، وعلى ذلك كنت لا أستطيع أن أبرئ نفسي من الخطأ
وإن كنت أستطيع أن أبرئها من كل غاية فكنت أرد على تهجم

المتهم بأن أدعو الحاجب ليصحبه إلى سكرتير النيابة حتى يقرر
باستئناف الحكم .

من صحف السوابق

كنا نلاحظ من صحف سوابق بعض المتهمين المقدمين إلى
محاكم الجنايات أنهم أغرموا بأن يقولوا بعد سماع الحكم بالإدانة
عبارات قد يكون فيها اعتداء على المحكمة أو على آخرين ليس
ما يربط بين الحكم بالإدانة، وهذه الجهات إلا غريزة الميل إلى
الشغب في هؤلاء الأشرار فكنا بعد المداولة في تقدير العقوبة في
حالة الإدانة والاتفاق عليها نتداول بعد ذلك في الطريقة التي
ينطق بها رئيس المحكمة الحكم حتى لا يري لهذا المتهم الشغب
الفرصة لارتكاب جرائمه اللفظية، فمن ذلك أن ينطق الرئيس اسم
المتهم والحكم بصوت نحيل ضئيل لا يكاد يبين، وكنا أحيانا نتفق
على أن ينطق الرئيس الحكم مغفلا اسم المتهم اكتفاء بذكر رقم
القضية في الرول فيقول مثلا القضية الأولى الحكم بمعاقة المتهم
الأول : إن كان فيها أكثر من متهم - بالأشغال الشاقة المؤبدة

وهكذا ولما كان المتهمون قد تعودوا أن يسمعوا أسماءهم عند النطق بالحكم مقرونة بالمقبوبة الموقعة عليهم ، وقلما يلقون بالا إلى رقم القضية في الرول ، فإن أحداً منهم ، وقد نطق بالحكم على النحو الذى أنف ذكره ، لم يكن يعرف ما حكم به عليه ، ولذلك كان يقف كل منهم مدهوشاً مشدوهاً يتساءل عن أمام وعن عيني وعن يسار عن الحكم ، وعندئذ نكون قد دلفنا إلى غرفة الاستراحة ولمن شاء منهم أن يقول ما يشاء كيفما شاء بعد عامه بالحكم من كاتب الجلسة وقد خلت المحكمة من الحاضرين ولمن لا نسمع ما يقولون .

عامل عربى

كنت مفتشاً بالنيابات وندبت رئيساً لإحدى نيابات الوجه القبلى ، وحدث ان اتهم أحد أثرياء العرب فى جنائية قتل منافس لقريب له فى الانتخاب فلما جرى به أمامى ووكيل النيابة اتخذنا معه من الاجراءات ما يتخذه كل محقق مع أى متهم آخر فأمرنا أن تخلع بعض ملابسه فقد يكون بجسمه آثار تعين الاتهام

نخلعها متملأ متثاقلاً ، لأن خلعها الملابس على هذا النحو شيء
يكرهه العرب ويمأرونه إلى آماذ بعيدة ، ولما لم يعجب شيخ
العرب ، ما كان منى معه قابل حضرة وكيل نيابة المركز -
وقال له : صاحبنا عامل عربى دا غجرى ، أخبرنى زميلى بما قاله
المتهم عنى ، فجملت أذنًا من طين وأذنًا من عجين .

النوم بالنهار والتلصص بالليل

وكثيراً ما كنت أسمع وأنا وكيل نيابة من بعض المأمير
ونحن فى طريقنا إلى تحقيق بعض حوادث الجنايات اللعن يصب
على العرب لأنهم هم الذين يعيشون فى الأرض بالفساد ويسفكون
الدماء ويؤيمون النساء وأنهم قطاع طرق منقطعون بها وأن عملهم
النوم بالنهار والتلصص بالليل الخ فكنت أبدى تمام الموافقة

جرائم الاعتداء على العرض

التحقيق

جرائم الاعتداء على العرض متعددة ، ولكن كثيراً ما تنبهم أركانها وتنساح بعضها على بعض عند التطبيق العملي هل الفعل الذي ارتكب يعتبر شروعاً في اغتصاب أم هتك عرض؟ وإن كان اغتصاباً هل تمت الجريمة أم هي شروع في ارتكابها ، لذلك أرى لأعضاء النيابة كل العذر إن هم استرسلوا في التحقيق استظهاراً للفعل الذي حدث من المتهم وتحديد في دقة وإحكام حتى لا يكون بتر الوقائع والقصور عن توفيتها حقها من التوضيح سبباً في القصور عن تطبيق القانون على الواقعة تطبيقاً صحيحاً ، ولكن تقوم هنا عقبة عملية تحد من حرية المحقق في توجيه ما يشاء من الأسئلة ، فلقد اعتدى على عرض المجنى عليها من المتهم أو هكذا يبدأ الاتهام فيجب ألا يחדش حياؤها بكثرة الأسئلة خصوصاً إذا لم يكن فيها فائدة يعتد بها في كشف الحقيقة وخصوصاً إذا

كانت عباراتها مكشوفة غير ملفوفة إذ يجب أن توجه الأسئلة بقدر وفي حذر وان تكون مغطاة وإن كانت واضحة ولقد وجهت ملاحظات كثيرة لبعض المحققين بأن أسئلة بعينها ما كان يليق توجيهها ، ولا أرى الأسراف في إبداء الملاحظات إذ يستشعر معها المحقق ضغطاً من شأنه أن يشل ملكة التحقيق عنده خصوصاً وتوجيه الأسئلة مسألة اعتبارية فقد يستهدف المحقق من سؤاله غاية قد تغيب عن غيره .

بلاغ من مجهول

أذكر أنني عدت من تحقيق حادثة قتل في ناحية من إحدى النواحي ، ولم يكشف التحقيق عن معرفة الجاني ، وبعد يومين جاءني بلاغ غفل من الإمضاء بأنه لما كان المجنى عليه أجيراً عند فلان من الأعيان فقد اتصل بابنته اتصالاً غير شريف فقتله وما عليك إلا أن تحيل الفتاة واسمها كذا على الطبيب الشرعي ليجري الكشف عليها حتى تبين صدق ما تقول :

أشرت على البلاغ سري وقد كلفنا ضابط المباحث بالتعري

عما جاء بهذا البلاغ ، وبعد أيام كتب ضابط المباحث بأنه يرجع أن البلاغ من قريب لها رفض أبوها زواجها منه .

على أنه حتى لو ثبت صدق ما يقوله المبلغ من الكشف الطبي فالنتيجة غير مجدية في الاتهام فضلا عن التجريس الذي لا تؤمن عواقبه ، ولكن آسف إذ انزلق البعض في اتخاذ هذا الاجراء .

براءة لضعف الدليل لا المتهم

حدث أن اتهم رجل كبير السن في جريمة هتك عرض أنثى بغير رضاها وكانت سنّها دون الثمانية عشر عاماً ، ولما أر نظر قاضى محكمة فاقوس إلى المتهم جزم بأن مثله لا يستطيع أن يقعد من مثله مقعد الرجال فكان حكمه بالآنى :

من حيث أنه بمجرد النظرة الأولى إلى المتهم تقطع بأنه يستحيل عليه أن يرتكب هذه الجريمة ، ومن ثم يتعين الحكم بالبراءة .

استأنفت النيابة ومحكمة الزقازيق قضت بتأييد الحكم

بالبراءة لأسباب أخرى لا تتعلق بضعف المتهم نفسه ولكن بضعف الدليل قبله ، على أنه مهما يكن من أمر فإنه يجب على المحقق أو القاضي أن يترك الفصل في أمر أمثال هذه الإمكانيات إلى الطبيب الشرعي كلما اقتضت الظروف ذلك فله في خلقه شئون الاعفاء لسؤال لم يحكم وضعه

روى لي أحد أعضاء مجلس النواب وقد كان مأموراً بإحدى مراكز الوجه القبلي أنه ذهب لزيارة القاضي الشرعي فوجده ينظر إحدى القضايا في جلسة سرية بغرفة المداولة ، وقد أذن له القاضي بالدخول وكانت الدعوى مقامة من الزوجة على الزوج تطلب الطلاق ، وقال الراوى يصف الزوجة بأنها كانت على جمال لا يرتد دونه الطرف ويصف الزوج بأنه كان شاباً يتوهج وجهه صحة وفتاء قوى البنيان وثيق الأركان ؛ فنظر القاضي إلى الزوج وقال له :

أنها تقول : إنك لست من الرجال في شيء ،

فأجاب الزوج وهو يهدر كالفحل :

كذابة كذابة ، إلا أن القاضي سأله مازحاً أو سارحاً لست

أدري : أوقادر أنت حقاً يا ولد ؟ ظن الزوج من السؤال أن القاضي يطالبه الدليل فهم بتقديمه وفي سبيل منعه ومدافعتة تهاوى طربوش المأمور إلى الأرض وتدحرج وانقرطت لفائف الشال وفي الهواء تطايرت ، ولا أرى التحدث عما حصل ولا عن الحكم في القضية حتى لا يستدل به على شيء مما كان ولكن سأتحدث عن الجزاء الذي وقع على القاضي لتوجيهه السؤال الأخير إلى الزوج .

قال الراوى : وذات صباح كنت جالساً بغرفتي بالمركز وإذا بشيخ له سمت وعليه وقار قد دخل الغرفة وسلم ثم جلس وهمس في أذني بعد أن عرفني بشخصه وأنه مفئش قضائي بالمحاكم الشرعية وسألني أن أقص عليه ما حدث في الجلسة التي حضرها فلم أربداً من إخباره بما حدث كما حدث لم أخرم منه شيئاً .

وبعد ذلك قرأنا في الجرائد خبر نقل القاضي إلى محكمة أخرى وبعد ذلك بشهرين قرأنا في الجرائد خبر إحالته على التقاعد .

كان جزاء القاضي إذ سأل سؤالاً لم يحكم وضعه الإغفاء من منصبه ، ولم لا ؟ أوليس الحديث الشريف : « حسن السؤال نصف العلم » .

المراجع

الأغانى لأبى فرج الأصفهاني

العقد الفريد لابن عبد ربه

العقد الفريد للملك السعيد لأبى سالم محمد بن أبى طلحة

وفيات الأعيان لابن خلكان

عيون الأخبار لابن قتيبة

تاريخ قضاء مصر فى الإسلام لأبى عمر محمد بن يوسف بن

يعقوب المعروف بالكندى

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه الأديب

أبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى

تاريخ القضاء فى الإسلام للقاضى الشيخ محمود محمد عرناؤس

تاريخ التشريع الإسلامى للأستاذ الشيخ محمد الخضرى

أبو حنيفة للأستاذ محمد أبى زهره

محاضرة ألقاها الأستاذ عارف الكندى أستاذ علم الاجتماع

فى مكتب الحقوق بدمشق عن القضاء فى الإسلام

قصص العرب للأستاذة محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل

إبراهيم وعلى محمد البجاوى

عصر المأمون للدكتور أحمد فريد رفاعى

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
نوادر للقدامى من القضاة	
زوج يهجو الشعبي	١٠
لمن السنور ؟	١١
البكاء فى مجلس القضاء	١١
عن عمر بن عبد العزيز	١٢
رد شاهد	١٢
حكم لمحكمة القضاة الدائرة المدنية القضية رقم ١١١ سنة ١٥	١٣
كيف ولى شريح القضاء	١٣
هيئة القضاء	١٤
قضيت بإقرارك	١٥
لست أحكم على غائب	١٥
فراصة إياس	١٦
إنما يشهد الموالى والتجار	١٧
ذكاء إياس	١٨
القضاء فهم	١٩
ما يؤمر به القاضى	٢١
إن غرماؤه أثبتوا إفلاسه	٢٣
أحييتنى أحيالك الله	٢٥
أى رجلحك أطول	٢٥
كيف ولى إياس القضاء	٢٥

الصفحة	الموضوع
٢٦	إياس الغلام
٢٧	المهادى لا يحلف
٢٧	المأمون أمام القاضى
٢٨	قاض يرد طلب الخليفة
٣٠	لا يثبت الحق إلا بالبينة
٣١	شروع فى رشوة
٣٣	أنا بالله ثم بالقاضى
٣٦	توقيع مجلس القضاء
٣٨	قضى للحمالين على أمير المؤمنين
٣٩	أبو دلامه يشهد
٤٠	بين قاض وامرأته
٤٠	من يحجر على القاضى ؟
٤١	لست قابلاً لشهادتك !
٤١	أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس
٤٣	كيف ولى ابن خدامر القضاء
٤٢	أبو حنيفة يرفض القضاء
٤٥	قاض يعمل الأرسان !
٤٧	بلى القضاء ساعة
٤٨	قاض لا يقرأ ولا يكتب !
٥٠	شرح يتزوج
٥٣	قاض يستفقى الخليفة !
٥٣	قاض وجارية
٥٤	من غلب إياس

الصفحة	الموضوع
٥٥	شاهد آخر غلب القاضى ابن شبرمه
٥٥	وكيل نيابة يسأل المستشارين
٥٦	إياس يفسر حتماً بتاريخ وفاته
٥٦	قاضى يحبذ الليل
٥٧	قاضى يحفر من الليل
٥٧	قاضى ينطق بالحكم عند المعاينة
٥٨	يدافع عن قضائه بعد عزله
٥٨	مجلس للقاضى صيفاً ، وآخر شتاء
٥٨	إمتحان من يطلب للقضاء
٥٩	شاهد يرد على القاضى تهكمه
٥٩	كان يقضى بمله
٥٩	أبو حنيفة وجاره
٦٠	ابن جامع المغنى وأبو يوسف
٦٣	قاضى القضاء أبو يوسف
٦٥	من مآثر أقواله
٦٦	أو قاض للقضاء
٦٧	قاضى يأمر أهل مصر بتغيير زيهم
٨٠	رؤية هلال رمضان
٧٠	القضاء فى أحباس مصر
٨١	قاضى ينقل من مصر إلى العراق ليحكم فى قضية
٧٢	هجو قاضى لشعره المرجل
٧٣	أول قاضى بمصر طلب انتقال واليها إلى مجلسه

الصفحة	الموضوع
٧٤	أموال اليتامى بيت المال
٧٤	القاضي بحاصل ما تم
٧٥	أول من نقل دواوين الحكومة
٧٥	إنا لسنا من أهل الشهادات
٧٩	إعتقال القاضي بكار الثقفي
٧٩	أراد أحمد بن طولون أن يستحله
٧٠	وكان بحاسب نفسه بعد الجلسة
٨٠	رد بكار شهادة رجل زاهد
٨١	من نوادر بكار
٨٢	قاضي يثني على نفسه
٨٣	الطعن في الأحكام للخليفة
٨٦	بحي بن أكرم
٨٧	من نوادره
٨٨	دخوله على المأمون مع إسحاق الموصلي
٨٩	سبب عزله
٩٠	قم قانصرف ، واتفق الله واصلح بنتك
٩٣	رئيس محكمة للمناوئين لمذهب المعتزلة
٩٤	كيف كان ، وكيف انتهى
٩٥	ما كان يقوله عن أهل زمانه
٩٦	أحمد بن خلكان
٩٧	مثل لمن يذكر عنده أحداً بغيبة
٩٨	ما شنع به عليه

الموضوع	الصفحة
رسالة عن حالة القضاء والأنظمة وقت إغالة الفرنسيين على مصر	١٠٢
تقرير للاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عن المحاكم الشرعية	١٠٩
طرائف للمحدثين من رجال القضاء	
خاف من سعادتك ١	١١٢
جثة مكان جثة	١١٤
لقد نام صاحب البيت نفسا	١١٨
مين اللى جاى ده ١٢	١٢٠
تأثير اختلاف البيئة فى العمل القضائى	١٢١
بقرة كندوز ١١	١٢٣
حاجب قاهرى بادفو ١	١٢٤
طيبه اسم	١٢٦
وقائع مختلفة :	
كلب رومى ١	١٢٨
أكلت رصاصة	١٢٩
زوج يشكو زوجته الحامل	١٢٩
أجرى على الله ١	١٣١
دشنا حكمت ١١	١٣١
وأيضاً مندوب الحكومة	١٣٥
يطلب الانتقال إلى المقبرة	١٣٨
إتله ١١	١٣٩
إعدام ١١	١٤٠
صعيدى ١١	١٤١
كلنا عندنا سكر	١٤٢

الموضوع	الصفحة
كانت لابسها سموكنج ا	١٤٣
جمعه ورا جمعه	١٤٤
ثلاث سنوات فقط	١٤٤
أمر يده على عمامته ا	١٤٥
لا جريمة ا	١٤٦
مخالفة لا جنائية ا	١٤٨
عوارض ا	١٤٩
متشرد يدفع الكفالة	١٥٠
عمدة ا	١٥٠
إتكسر حكك ا	١٥١
خضم ثالث ا	١٥٣
لخط بك في مصر ا	١٥٤
المنهم يتشعبط ا	١٥٦
ما تفهمش ... ا	١٥٦
معه حق ا	١٥٧
حضرة صاحب الفضيلة ا	١٥٩
بين النيابة والادارة	١٦١
إحراق كل أجران البلد	١٦٣
حوادث اعتداء على القضاة	١٦٦
بما أفرع ؟	١٦٧

الموضوع	الصفحة
هذا ظلم ... !	١٦٨
من صحف السوابق	١٦٩
عامل عربي !	١٧٠
النوم بالنهار والتلصص بالليل	١٧١
جرائم الاعتداء على العرض	١٧٢
بلاغ من مجهول	١٧٣
براءة لضعف الدليل لا المتهم	١٧٤
الاعفاء لسؤال لم يحكم وضعه	١٧٥

تصويب أخطاء

خطأ	صواب	ص	ط
عمرأ	عمر	١٣	١٣
نجلبة	تجلبية	٢٠	١٤
الإدراك	لإدراك	٢١	٢
قصاة	فضاء	٢٥	١٢
كلمة ناقصة بعد لمن رضيت وهي أرضيت			
زوج	زوج	٥٧	١٤
بنرات	بشدرات	٦٣	٧
أيام	لعلها تصحيف آنام	٦٨	٨
خطئه	خطية	٦٨	١٣
مخبر	مخبر	٦٨	١٤
علنا	علته	٧٩	٣
البيتين الآتين	البيتان الآتيان	٨٧	٥-٦
أقد أنست	لقد أنست	٩٥	٣
وفعت	وقعت	٩٩	٤
الشيخ	للشيخ	١٢٣	٤
الاستمتاع	الاستماع	١٢٥	١١
إنارة	أثارة	١٣٦	٧